

الخطاب النقدي في كتاب استقبال الآخر للناقد سعد البازعي

عائشة بنت محمد بن غالب الحارثي

المستخلص باللغة العربية

تناولت الدراسة تجليات الخطاب النقديّ في كتاب (استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث) للناقد سعد البازعيّ، وهدفت الدراسة إلى تحديد معالم الخطاب النقديّ، ومرجعياته لدى سعد البازعيّ، وبيان موقفه من النقد الشكلائيّ، والبنويّ، والتقويضيّ، والكشف عن تأصيل الثقافة العربية، ومقارنتها بالنقد الغربيّ.

واعتمد البحث على منهج نقد النقد الذي يحلّل الخطاب، ويفكّكه من خلاله القراءة النقدية على قراءة نقدية سابقة؛ مما فتح آفاقاً في تطوير النقد الأدبيّ المعاصر، والنظرية النقدية عامة.

وقد توصلّ البحث إلى مجموعة من النتائج، أهمّها: أنّ للغرب خصوصيته العلمانية التي قد لا تصلح لبيئة أخرى، ومن خصوصيته -أيضاً- أنّه ينقد نفسه بنفسه، ومعظم النظريات النقدية تبدأ في مدّة من الزمن، ثمّ تحلّ محلّها نظرية أخرى، تقوّضها، وعندما تنتهي في الغرب؛ يبدأ النقد العربيّ استدعاءها، وإحياءها بعد الموت، والمشروع العربيّ النقديّ يتأرجح بين الذوبان في الآخر الغربي، وبين التأصيل للموروث العربيّ، والوقوف الموقف الوسطيّ بين الحفاظ على التراث، وبين الانفتاح على الآخر، ويقوم مشروع البازعيّ النقديّ على الحفاظ على الموروث، وعدم الذوبان في الآخر العربيّ؛ انطلاقاً من موقف عروبيّ وطنيّ.

الكلمات المفتاحية: سعد البازعي - الأنا والآخر - نقد النقد - الخطاب النقدي - النقد الغربي - النقد العربي - التأصيل - الذوبان - الخروج.

Abstract

The present study investigated the manifestations of critical discourse in the book "**Receiving the Other: The West in Modern Arab Criticism**" [Romanized "Kitab Istiqbal Al-'akhar: Al-Gharb fi Al-Nakd Al-Arby Al-hadeeth"] by the critic **SAAD AL-BAZIE**. The study aimed to identify the features of critical discourse and its references from the viewpoint of SAAD AL-BAZIE, to clarify his perspective on formal, structural and

destructive criticism, to reveal the authenticity of Arab culture, and to compare it with Western criticism.

The study adopted the approach of criticism of criticism, which analyzes and deconstructs the discourse through critical reading based on a previous critical reading, which opened horizons in developing contemporary literary criticism and critical theory in general.

The study is divided into an introduction, a preface, and three topics. The introduction examined the reason for choosing the subject, its objectives, questions, hypotheses, methodology, previous studies, and its structure. In the preface, I talked about the critic and his book, the concept of criticism of criticism and its development. I titled **the First Topic**: Features of Al-Bazie's project in criticism. I divided it into three sections: **The first section**: Western criticism and the specificity of the context. **The second section**: Rooting concepts in critical heritage as an epistemological alternative. **The third section**: The culture of difference and the problem of bias. **The Second Topic**: Al-Bazie's reading of modern critical discourse. I divided it into two sections: **The first section**: Al-Bazie's reading of structural and formal criticism. **The second section**: Al-Bazie's reading of subversive criticism. **The Third Topic**: References to critical discourse according to Al-Bazie. In **the first section**, I discussed Arab culture as an epistemological reference. In **the second section**, I discussed religious reference and the exclusionary critic. I concluded the study with the most important conclusions and recommendations.

The study concluded a set of conclusions, most notably: the West has its own secular specificity that may not be suitable for another environment. One of its specificities is that it criticizes itself, and most critical theories begin in a period, then another theory replaces it that undermines it. When it ends in the West, Arab criticism begins to recall it and revive it after death, and the Arab critical project oscillates between dissolving into the Western other, and between rooting the Arab heritage and taking a middle position between preserving the heritage and openness to the other. Al-Bazie's critical project is based on preserving the heritage and not dissolving into the Arab other, based on an Arab nationalist position.

المقدمة

إذا كان النقد الأدبي أداةً من أدوات الفكر، ومنهجاً في التحليل وفحص الخطاب الأدبي، تسهم في تشكيله معطيات السياق المحلي الخاص بالناقد، وتستفيد منه أثناء عبوره الجغرافي ثقافة الآخر، فإن كل دراسة لهذا الخطاب النقدي بخطاب آخر نقدي عليه، يحلل ويسائل هذا النقد الأدبي ومنهجه، من خلال تفكيكه والحفر في خلفيات مضامينه وسياقاته وتطور طريقة عمل آلياته؛ يسمى اصطلاحاً (نقد النقد).

ومن الذين برزوا—وليس على المستوى المحلي فحسب، بل وكذلك المستوى العربي— في ممارسة النقد على النقد الأدبي، المفكر السعودي البارز **سعد البازعي**، الذي يعتبر كتابه (استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث)، واحداً من أهم الكتب التي خاضت غمار هذا المجال الوعر والحساس؛ وتكمن وعورته في أن النقد الأدبي ظل دوماً داخل أكثر الدوائر تخصصاً في الثقافة، مزدحماً بمصطلحاته الخاصة ومنهجه المعقدة، فمن يسلك طريقاً لنقد هذا النقد لا بد وأن يعلم جيداً أين يضع قدمه، وهو حساس لأن من يتناولهم بالنقد هم بالأساس نقاد يفترض أنهم يمتلكون نفس أدوات الفكر وموهبة النظر والفحص، فلا بد للناقد للنقد أن يمتلك مشروطاً دقيقاً وحساساً يلتزم تحييد الأهواء الشخصية، مع القدرة على الفحص والتشخيص والتقويم والحكم، وسلوك منهجية تعتمد الوسائل الإجرائية من ضوابط البحث المعروفة، لا منهجية مقارنة فكرية ومعرفية تقوم على مجرد الفرضيات. ونحسب أن البازعي قد التزم تلك الشروط في كتابه هذا الذي يتناول نقد الأدب العربي الحديث والممارسين له وطريقة استقبالهم للمناهج الغربية الحديثة ومدارسها بالنقد.

وأهمية هذا الموضوع تتمثل في أن النقد العربي الحديث مع ما حقق من إنجازات لا تُغفل— عبر علاقات طويلة بممارسات النقد الغربي، يواجه بذات الوقت إخفاقات ومشكلات وتحديات كثيرة، هي أكبر في إضرارها بالثقافة العربية وممارستها النقدية من فائدة تلك الإنجازات، وهي مع ذلك أزمات وقعت أيضاً نتيجة لنفس تلك العلاقات مع المذاهب النقدية الغربية التي " قد نشأت بفعل تحولات فكرية واجتماعية وسياسية؛ فكل مذهب نشأ عقب تغيير أو أكثر في المجتمع الأوروبي قد نشأ تعبيراً عن ذلك الاتجاه، وليلي حاجات جدت، وهذه المذاهب لها مصطلحات نقدية وأدبية لها مدلولاتها وشحناتها الفكرية، والأدب الذي ينتج لم ينشأ من فراغ؛ فقد أنتجه وأبدعه أصحابه ليلي حاجات معينة؛ فإذا حاولنا تطبيق هذه المناهج والمذاهب فينبغي أن نكون واعين لما نفعل، ولما نصطنع من مصطلحات"⁽¹⁾. هذا وقد أنتجت المناهج النقدية الغربية مجموعة متنوعة من الآراء النقدية التي تتعارض أحياناً مع بعضها البعض لدرجة التطرف، وتأرجحت عملية تلقيها في ثقافتنا العربية بين القبول والرفض، وتم استقباليها من الناقد العربي الحديث استقباليًا مزدوجاً؛ "استقبال بمعنى التلقي والسعي إلى التفاعل البناء، واستقبال بمعنى اتخاذ المكان أو الجهة قبلة، أي بالمعنى الذي يبرز خضوع الكثير من نقدنا العربي لمقولات ومناهج ليست مناسبة دائماً، أو بالشكل الذي استقبلت به، ولم تستوعب في الغالب كما ينبغي"⁽²⁾، وهو ما تتناوله أطروحة الناقد سعد البازعي المتمثلة في مفهوم هذا الاستقبال في هذا الكتاب، محاولاً تفسيره وتقويمه، متخذاً فيها موقفاً معرفياً ومنهجياً خاصاً به يرفض الحياد لكنه يلتزم الإنصاف والحقيقة والالتزان، وقد انطلقت فكرته من خصوصية الثقافة العربية، وأن كل ثقافة هي بنت بيئتها وسياقها المكاني والزمني الخاص، وأن القول بعالمية المناهج النقدية وموضوعيتها وتجردها العلمي التام، يتعارض مع المعقول من سياقاتها المحلية والتاريخية والاجتماعية السياسية والثقافية والأيدولوجية، ومع التجربة البشرية التي تثبت التحيزات حتى في النظريات العلمية. ويرى البازعي ضرورة الابتعاد عن الاستقبال الحرفي والآلي للمناهج النقدية الغربية المعاصرة، الغافل عن التباينات الثقافية بين المرسل والمتلقي، بل يجب أن يكون استقباليًا واعياً وانتقائياً، يبحث في خلفياتها الصريحة والمضمرة، ومرجعياتها المتعددة التي قد لا تتوافر أو تتلاءم داخل بيئة وسياقات الثقافة العربية، والتي هي في نفسها تمتلك مقولاتها النقدية التراثية في البلاغة والنقد، ولها مرجعياتها الفلسفية والعقائدية المنبثقة من روح العقل العربي الإسلامي.

وتتمحور مشكلة الدراسة حول الآراء النقدية التي جاء بها البازعي ناقداً بها للعديد من المناهج النقدية الغربية الوافدة، وتأثيرها السلبي على الساحة الأدبية العربية، وقد اعتمد فيها الثقافة العربية ودراسته للأدب وللنقد العربي والأجنبي بحكم تخصصه الأكاديمي، مرجعاً يستند عليه في إقامة موقفه،

(1) عبد الرحمن، عفيف، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، ط1 (عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1985م)، ص 167.

(2) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، ط1، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، 2004)، ص

وحجر أساس معرفي لمشروعه النقدي، محاولين ما استطعنا أن نقيم موقفاً نقدياً على نقده للنقد العربي، والبدائل التي قدمها البازعي ضمن هذا المشروع، الذي تضمن أيضاً قراءته النقدية لكل من النقد الشكلائي والبنوي وما بعد البنوي التقويضي في صورتهم الأصلية، وقد انبثقت أهمية اختيار الموضوع للأسباب الآتية:

- رغبة الباحثة في الكشف عن **خصوصيات** الخطاب النقدي على خطاب النقد الأدبي العربي لدى سعد البازعي.

- فهم **مرجعيات** الخطاب النقدي لدى سعد البازعي.

- الوقوف على **الآليات التأويلية** التي اعتمدها البازعي في خطابه النقدي.

- **ندرة** الدراسات السابقة عن كتب سعد البازعي ومشروعه النقدي.

ومن هنا اخترنا **عينة الدراسة لتكون** كتابه (استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي

الحديث)، الصادر عن المركز الثقافي العربي في الدار البيضاء في المغرب في طبعته الأولى لعام 2004م. فهو أوضح ما يتجلى فيه الخطاب النقدي عند صاحبه سعد البازعي.

وأما **الدراسات السابقة**؛ فقد ظهر لنا من خلال البحث والتقصي، أنه لا وجود لكثير من الدراسات التي تناولت مشروع خطابه النقدي: غير ما تناولته الباحثة هنا، فمثلاً توجد مذكرة ماستر بعنوان: **التجربة النقدية عند سعد البازعي** من إعداد مريم زروق وإشراف الأستاذ محمد زكور، وقد نوقشت في العام الجامعي 2017/2018م، بجامعة محمد الصديق بن يحيى بجيجل، الجزائر، وقد تناولت الباحثة فيها كتابه **استقبال الآخر**، في الفصل الثالث فقط، ولم تتطرق إلى قضايا المرجعيات والبدائل النقدية في هذا الكتاب.

وهناك كتاب لبشير تاويرت وسامية راجح بعنوان **التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر**:

دراسة في الأصول والملاحم والإشكالات النظرية والتطبيقية، بدر رسلان، الجزائر، 2014، وقد أشار الباحثان باختصار إلى مشروع سعد البازعي في نقد التفكيك ورفض مقولاته، لكن حتى هذا الكتاب لم يتطرق إلى الأسباب الكبرى للرفض النقدي لتيار التفكيك، ولم يناقش مرجعيات سعد البازعي ولا آليات القراءة المختلفة، فقد وقفا على فكرة الرفض دون تعمق في حيثياتها، ولا قدم لبدائل سعد البازعي، فقد قرأه قراءة عامة، دون التعمق في أسباب رفض التفكيك ودوافعها المعرفية والأيدولوجية.

ويهدف **البحث** إلى تحديد معالم ومرجعيات الخطاب النقدي لدى سعد البازعي من خلال

بيان موقف البازعي من النقد البنوي والتفكيكي خصوصاً، والكشف عن منهجه في التأصيل المفاهيمي للنقد والبلاغة العربية، ومدى تأثير ذلك بالمنجز النقدي الغربي، ونقده لذلك.

وقد تمحور **البحث** وتساؤلاته في الآتي:

- 1- كيف قدم البازعي معالم مشروعه النقدي؟
- 2- كيف تجلت آراء البازعي للنقد البنيوي والتفكيكي؟
- 3- ما المرجعيات التي اعتمدها البازعي لتأصيل مفهوم النقد والبلاغة العربية؟
- 4- كيف يمكن الكشف عن آفاق التأصيل المفاهيمي للنقد والبلاغة العربية ومقارنتها بالمنجز النقدي الغربي؟

ولما كان هذا البحث في نفسه يندرج في نطاق ما يعرف **بنقد النقد**، فهو لا يتبنى منهجاً مسبقاً محدداً من المناهج المعنية بالمقاربات الفكرية أو المعرفية بما تحمله من فرضيات، وإنما يلتزم الوسائل الإجرائية في ضوابط البحث، ووصف الممارسة النقدية وتحليل خطاها يشكّل دعامة وآلية منهجية نعتمدها حين نحلل ونقارن بين الآراء النقدية المختلفة من حيث لغتها وطريقتها ومنهجها، كالمقارنة مثلاً بين البنيوية والتقويض. فهو الطريق الذي يفترض أتباعه⁽¹⁾ في مثل هذه المواضيع التي تحلّل وتفكّك الخطاب النقدي بشكل عام، وللوصول إلى معطيات تفصيلية لفهم تحولات الخطاب النقدي العربي وأزمته، والبدائل التي يقدمها الخطاب النقدي لدى سعد البازعي.

جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث يليها حصاد البحث ونتائجه، وأهم التوصيات التي أسفرت عنها الدراسة، وثبت بالمصادر والمراجع على النحو الآتي:

المقدمة: وتضمنت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، وتساؤلاته، ومنهجه، وخطته.

وتضمن التمهيد:

- الناقد وكتابه.

- نقد النقد المفهوم والتطور.

المبحث الأول: معالم مشروع البازعي النقدي:

المطلب الأول: النقد الغربي وخصوصية السياق.

المطلب الثاني: تأصيل المفاهيم في التراث النقدي كبديل معرفي.

المطلب الثالث: ثقافة الاختلاف العربي والسعي إلى التأصيل.

المبحث الثاني: قراءات البازعي للخطاب النقدي الحدائي:

المطلب الأول: قراءة البازعي للنقد البنيوي والشكلائي.

المطلب الثاني: قراءة البازعي للنقد التقويضي.

المبحث الثالث: مرجعيات الخطاب النقدي عند البازعي:

(1) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 6.

المطلب الأول: الثقافة العربية كمرجع معرفي.
المطلب الثاني: المرجعية الدينية والناقد الخرجي.
الخاتمة وتضم أبرز النتائج والتوصيات.

التمهيد

أولاً: الناقد ومؤلفاته:

سعد بن عبد الرحمن البازعي ولد عام 1953م، ناقد، ومفكر، ومترجم سعودي، حصل على البكالوريوس في اللغة الإنجليزية وآدابها من جامعة الملك سعود بالرياض 1974م، وحصل على الماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة بيردو **Purdue** بولاية إنديانا عام 1978م، والدكتوراة في الأدب الإنجليزي والأمريكي من جامعة بيردو **Purdue** عام 1983م، وكانت أطروحته حول الاستشراق في الآداب الأوروبية.

يعمل البازعي أستاذاً للأدب الإنجليزي المقارن بجامعة الملك سعود بالرياض منذ 1984م، وانضمّ لعضوية مجلس الشورى السعودي عام 2009م، وشغل العديد من المناصب، مثل: رئاسة تحرير صحيفة (رياض ديلي) الصادرة باللغة الإنجليزية، ورئاسة تحرير الطبعة الثانية من الموسوعة العربية العالمية، وعضوية المجلس العلمي لجامعة الملك سعود، ورأس النادي الأدبي بالرياض، وحصل على عضوية مجلس الصندوق الدولي لدعم الثقافة باليونيسكو، ورأس لجنة تحكيم الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) لعام 2014م، وقدم برنامج (كتاب ومنعطف) على شاشة القناة الثقافية عام 2023م، وأُسند إليه رئاسة جائزة القلم الذهبي 2024م⁽¹⁾.

ألقي على مدى ثلاثة عقود العديد من المحاضرات، وشارك في عدة مؤتمرات في مختلف البلدان في العالم، منها: اليابان، ألمانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، السويد وفرنسا، علاوة على العديد من الدول العربية، ويُعدُّ من أبرز النقاد المعروفين على الصعيد الثقافي السعودي والعربي.

حصل على العديد من الجوائز، مثل: جائزة كتاب العام من وزارة الثقافة والإعلام لعام 2012م، وجائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب 2017م، وجائزة البحرين للكتاب 2018م، وكُرّم من جائزة الدوحة للكتاب العربي عام 2024م⁽²⁾.

(1) انظر: دارة الملك عبد العزيز، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، 3 أجزاء، (دارة الملك عبد العزيز، 2014م)، 96/1.

العتيبي، محسن، الدكتور سعد البازعي (السيرة الذاتية). اثنيّية عبد المقصود حوجة، الاثنيّية رقم (376). ثقافة وفنون، "الدكتور سعد البازعي رئيسًا لجائزة القلم الذهبي للأدب"، الشرق الأوسط، الرياض، (6 محرم 1446/22 يوليو 2024).
(2) انظر: دارة الملك عبد العزيز، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، 3 أجزاء، (دارة الملك عبد العزيز، 2014م)، 97/1.

مؤلفاته:

- ثقافة الصحراء: دراسات في أدب الجزيرة العربية المعاصر 1991م.
- إحالات القصيدة: قراءات في الشعر المعاصر 1999م.
- **مقاربة الآخر: مقارنات أدبية 1999م.**
- دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً (مع الدكتور ميجان الرويلي) 2002م.
- أبواب القصيدة: قراءات باتجاه الشعر 2004م.
- استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث 2004م
- شرفات للرؤية: العولمة والهوية والتفاعل الثقافي 2005م.
- المكون اليهودي في الحضارة الغربية 2007م
- الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف 2008م
- جدل التجديد: الشعر السعودي في نصف قرن 2009م.
- سرد المدن: الرواية والسينما 2009م.
- قلق المعرفة: إشكاليات فكرية وثقافية 2010م.
- لغات الشعر: قصائد وقراءات 2011م.
- مواجهات ثقافية: مقالات في الثقافة والأدب (باللغتين العربية، والإنجليزية) 2014م.
- مشاغل النص واشتغال القراءة: قراءات في الرواية والشعر 2014م.
- جدل الألفة والغربة: قراءات في المشهد الشعري المعاصر، 2016م.
- هموم العقل: مسائل، حوارات، إشكاليات، 2016م
- مواجهات السلطة: قلق الهيمنة عبر الثقافات، 2018م.
- القصيدة الشعبية. سمات التحضر وتحديات التجديد 2018م.
- مصائر الرواية. 2020م.
- الفرع المختلس: رهان الشعر 2020م.
- حوارات ومكاشفات 1990-2020. 2021م.
- هجرة المفاهيم: قراءات في تحولات الثقافة 2021م.
- سؤال المعنى في الأماكن والفنون 2021م.

- الثقافة في زمن الجائحة: مقالات مترجمة من أنحاء العالم 2022م.
- معالم الحداثة: الحداثة الغربية في ستين نصاً تأسيسياً من القرن السابع عشر حتى العشرين. 2022م.
- التراجم
- المسلمون في التاريخ الأمريكي: إرث منسيّ لجيرالد ديريكس 2011م.
- جدل العولمة: نظرية المعرفة وسياساتها لنغوي وأثيونغو 2014م.
- الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، لزيغمونوت باومان (بالاشتراك مع بثينة الإبراهيم)، 2016.
- بومغارتنر (رواية)، بول أوستر، 2023⁽¹⁾.

كتاب "استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث"

يقدم كتاب (استقبال الآخر) صورة للنقد العربي الحديث، وما يواجهه حركة النقد الأدبي العربي من تحديات ومشكلات في ميدان التفاعل مع الغرب، وكيفية استقبال الناقد العربي للنظريات والمناهج النقدية الغربية، وهو استقبال يصفه صاحب الكتاب بأنه مزدوج؛ استقبال بمعنى التلقي والتفاعل البناء، واستقبال بمعنى اتخاذ الجهة قبلهً بخضوع الكثير من نقدنا العربي لمقولات ونظريات لا تتناسب مع ثقافتنا العربية، أو على الأقل بالشكل الذي تم استقباله بها دون استيعاب لها في الغالب. فالاستقبال بهذا المعنى هو محور أطروحة الكتاب، والتي يحاول صاحبه من خلالها تقديم تفسير وتقييم لهذا الاستقبال، متخذاً موقفاً ينفي البازعي عن صفة الحياد، ولكنه يلتزم فيه الإنصاف والتحقيق والالتزان. وهو يرى أن نقدنا العربي في بدايات الاستقبال كان يخضع لتأثيرات غربية كثيرة ولمقولات ونظريات ومناهج ليست مناسبة لنا دائماً، أدت إلى الانعطاف في التناول النقدي، فكراً وتدوقاً وتحليلاً، ولم تُستوعب في الغالب كما ينبغي أن يكون. فساد التوتر في تناول الثقافة الغربية وتياراتها ومدارسها؛ فحيناً ينجح النقد العربي إلى حنين للموروث، وما يعنيه من محافظة على الهوية، وحيناً آخر تغريه الحداثة الغربية، وما يتجلى فيها من تغيير ومواكبة للتطور⁽²⁾.

قسّم المؤلف كتابه إلى مقدمة وقسمين، ويرسم البازعي في مقدمة كتابه معالم الإشكالية وتفصيلها، ثم يتلو ذلك قسم يحدد فيه معالم الخصوصية في النقد الغربي من حيث هو "الآخر الثقافي" في مقابل الحركة النقدية العربية، نحتاج إلى فهمه والإفادة منه، محدد فترة الخمسين عاماً الأخيرة للنقد الأدبي الغربي، ففيها أبرز التيارات النقدية التي كانت حاضرةً في حركة الاستقبال العربي منذ بداياته في العصر الحديث.

(1) انظر: دارة الملك عبد العزيز، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، 3 أجزاء، (دارة الملك عبد العزيز، 2014م)،

99-98/1، والعتيبي، محسن، الدكتور سعد البازعي (السيرة الذاتية).

(2) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 93-95. (بتصرف).

ثم يخصص القسم الثاني للنقد العربي منذ بداية نشأته نهاية القرن التاسع عشر وحتى نهاية التسعينيات من القرن الماضي، ساعياً إلى الوصول إلى صورة النقد العربي وكيفية تفاعله مع الغرب.

وعنون البازعي **القسم الأول** من كتابه: **النقد الغربي: خصوصية السياق**، فبين مفهوم الخصوصية، لينطلق إلى مباحث هذا القسم، فقد تجلّت شكلائية النماذج من خلال: من المقدس إلى الدنيوي، والبنوية وتصعد الحلم، وجيمسون والتقويض الماركسي، والتقويض: جمع ما لا يجتمع.

والقسم الثاني: الاستقبال العربي، وتجلّي الاستقبال العربي للغربي من خلال أربعة مباحث، **الأول**، أخص بيدايات الاستقبال، وتراوحت هذه البدايات بين مرحلة التأسيس، وبين ظهور الناقد المتخصص، ومن أبرز سمات مرحلة التأسيس: النقد الأكاديمي، والاتجاه الرومانسي، وطه حسين والشك الديكارتية، أما ظهور مرحلة الناقد المتخصص، فكانت مع محمد مندور. أما **المبحث الثاني**، فقد خلّص للنقد الواقعي، والشكلائي، والأسطوري، و**المبحث الثالث**: استقبال البنوية، و**المبحث الثالث**: استقبال التقويض، وأفرد فصلاً لتجربة شكري عياد من الاستقبال إلى التأصيل، والتي حازت على إعجابه وتقديره بوصفها مؤشراً إيجابياً وباعثاً على الأمل.

ثانياً: نقد النقد المفهوم والتطور:

يعتبر نقد النقد استراتيجية نقد ومعرفية حديثة، من أجل النظر في تراكمات المنظومة النقدية، جاعلة من النقد نفسه موضوعاً لها تساؤله وتفحصه من أجل مركزاتها النظرية وآلياتها الإجرائية، ولما كان نقد النقد في نفسه خطاب نقدي، فعلى أن نبحت فيه ونطرح سؤال المنهج القائل: هل لنقد النقد آلياته الخاصة؟ أم أنه يستعير من النقد الذي يتصدى له ويسائله آلياته؟ من هنا نحاول في هذا المطلب أن نتعرف على ماهية المصطلح والوقوف على وظائف نقد النقد وأهدافه ومن ثم النظر في إشكالية المنهج.

• مفهوم النقد:

تشق كلمة **نقد** في اللغة العربية من الفعل الثلاثي (ونَقَدَ يَنقُدُ، نَقْدًا)، فهو ناقد، والمفعول مَنْقُودٌ، ويعني التمييز، ونقد الشيء تمييز الجيد فيه من الرديء وفصلهما عن بعض، ونَقَدَ الدَّرَاهِمَ: مَيَّرَهَا، نَظَرَ فِيهَا لِيَعْرِفَ جَيِّدَهَا مِنْ رَدِيئِهَا، والنَّقْدُ: فُنٌّ تَمَيِّزُ جَيِّدِ الْكَلَامِ مِنْ رَدِيئِهِ، وصحيحه من فاسده⁽¹⁾.

واصطلاحاً في موسوعة لالاند، النقد هو "فحص مبدأ أو ظاهرة والحكم عليها حكماً تقويمياً... ويطلق العقل النقدي على الفكر الذي لا يأخذ بأي إقرار دون تساؤل أولاً عن قيمة

(1) انظر: معجم المعاني العام، تعريف معنى كلمة "نقد" - <https://www.almaany.com/ar/dict/ar->

الإقرار من حيث مضمونه (نقد داخلي) ومن حيث أصله (نقد خارجي)"¹⁰. ويعرفه محمد مندور بأنه "فن دراسة النصوص الأدبية والتميز بين الأساليب المختلفة"⁽²⁾.

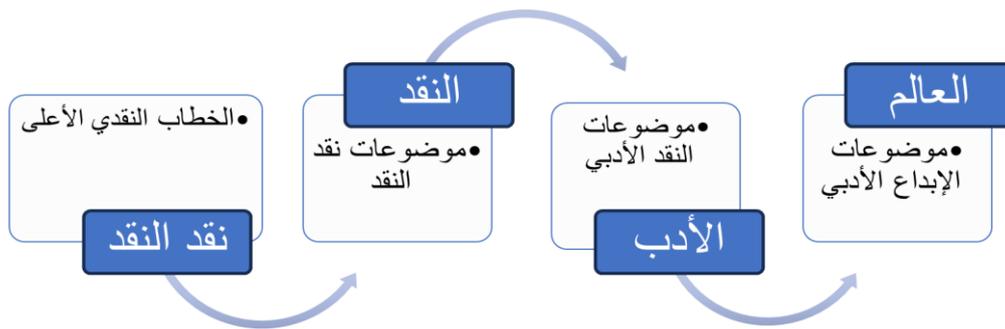
فالعالم موجود، والكاتب يتكلم ويصفه في إبداعه وهذا هو الأدب، أما النقد فلا يتعامل مع العالم، بل مع الصياغة اللغوية التي قام بها هذا الكاتب في وصفه للعالم، فالنقد لغة ثانية واصفة تحمل نظاماً منهجياً ومعرفي له مجموعة من القواعد والقوانين، فهو خطاب على خطاب؛ خطاب نقدي على خطاب أدبي. ولما بات الخطاب النقدي خطاباً معرفياً تراكمياً يتطلب فهمه معالجة معرفية تستند بدورها لآليات وتقنيات علمية دقيقة، ظهر مصطلح آخر لا يتعلق بالأدب ونصوصه الإبداعية بل يسلط آليات وتقنيات عمله على النصوص النقدية نفسها أطلق عليه "نقد النقد".

• مفهوم نقد النقد:

نقد النقد بناء معرفي وظيفي يعمل بخطة (استراتيجية) تستهدف فحص الممارسة النقدية (آلياتها، مبادئها، غاياتها، أصولها المعرفية)، فهو نشاط معرفي يُخضع النصوص النقدية لمجموعة من الأطروحات التي تتعامل مع الإنتاج النقدي بوصفه موضوعاً للمساءلة والاختبار⁽³⁾.

وهناك عدة مصطلحات مترادف لمصطلح نقد النقد مثل: الميثانقد، النقد الشارح، قراءة القراءة، والنقد المثلث، ولعل مرد ذلك هو الاختلاف بين مرجعيات وأيديولوجيات الباحثين في هذا المجال.

وبذلك يمكن النظر لنقد النقد من حيث أن الخطاب النقدي يجعل من الخطاب الأدبي موضوعاً له، وهذا الخطاب النقدي الأدبي، يصبح موضوعاً لنقد النقد؛ على أنه خطاب نقدي على خطاب نقدي على خطاب أدبي، فيكون نقد النقد كما يمكن أن نسميه مجازاً الخطاب النقدي الأعلى:



(2) لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، 3 أجزاء، ط2، (بيروت-باريس، منشورات عويدات، 2001م، ص 238).

(3) عمراي، فاروق، تطور النظرية النقدية عند محمد مندور، ط1، (الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1988م)، ص 9.

(4) انظر: أحمد، سامي سليمان، حفريات نقدية: دراسات في نقد النقد العربي المعاصر، ط1 (مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2006م) ص7. (بتصرف)

موضوع نقد النقد

مما سبق ذكره فإن نقد النقد يتناول في موضوعه النقد الأدبي، ويقف حيثما انتهى هذا النقد، إلا أن ذلك لا يعني أنه لا يقف كذلك على الخطاب الأدبي الذي يتناوله النقد الأدبي، لكن لا ليفحصه ويحلله، بل ليستكشف آليات ومناهج المقاربة النقدية للنص الأدبي وليقف على ما أصابت فيه أو ما وقعت فيه من أخطاء⁽¹⁾، فيمكننا أن نقول أن موضوع نقد النقد مركب (أدبي/نقدي) يستلزم النظر في الخطاب الأدبي قبل الولوج إلى الخطاب النقدي، ليتمكن من تطبيق المقاربة النقدية التي يتناولها، على ذلك النص الأدبي، ومن ثم ينقدها ويسائل تناولها للنص الأدبي ويقومها فيما انحرفت به في قراءة النص وهو على بصيرة من أمره.

• وظائف نقد النقد

يقدم جابر عصفور ثلاث وظائف لنقد النقد:

- 1- **وظيفة الفحص والمراجعة:** وهي العملية التي يجريها نقد النقد على النقد الأدبي من حيث الوصف والاصطلاح، وتناغم الوصف الإجرائي، وسلامة المبادئ والفرضيات.
- 2- **وظيفة التفسير:** وذلك لأنه سلسلة من العمليات العقلية التي تسعى إلى استنطاق وتأويل واستكشاف عناصر تكوين الخطاب النقدي الأدبي.
- 3- **وظيفة التأصيل:** وهي نوع من المراجعة المنهجية الشاملة للمفاهيم والتصورات النقدية التي انطلقت منها عملية التنظير النقدي وانتهت الممارسة النقدية إلى التسليم بها⁽²⁾.

• المنهج في نقد النقد

يعاني نقد النقد من إشكالية في المنهج، ولم يستقر على آليات خاصة به، ذلك أن نقد النقد يرتبط بنقد الإبداع لا بالإبداع نفسه، وعليه فمن الضروري مراعاة هذه الحقيقة في كل محاولة للحديث عن منهجيته الخاصة، ونرى مع من ذهب إلى ذلك (وهو مذهب البازعي في كتابه) أنه من غير المناسب أن يتبنى ناقد النقد منهجاً محدداً سلفاً؛ لأنه في هذه الحالة سيكون موقفه محدداً مسبقاً ومنحازاً إليه في نقده للنقد الذي قد تنتمي ممارسته لمنهجية أخرى، فالموقع الطبيعي لناقد النقد هو التخلي عن تبني مناهج تنتمي للنقد الأدبي، ومن ثم فناقد النقد بحكم تخصصه في تأمل النقد الأدبي مدعو إلى استخدام أداة الوصف والتأويل والحفر والحوار، فهي الوسيلة للنظر في الأعمال النقدية، مع إلمام بأصول المناهج التي يتناولها بالنقد والفروق الحاصلة بينها. فالمنهج الوصفي المبني على الفحص والتدقيق والوسائل

(1) انظر: عصفور، جابر، نظريات معاصرة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م) ص 289. (بتصرف)

(1) انظر: عصفور، جابر، نظريات معاصرة، مرجع سابق، ص 292، 293-295.

الإجرائية في البحث العلمي هو الأقرب في ظننا للمنهجية المطلوبة في نقد النقد. وكتاب البازعي مناط البحث، يعدُّ تجربة فريدة في مجال نقد النقد، وخير مثال على ما ذكرنا.

المبحث الأول: معالم مشروع البازعي النقدي

المطلب الأول: النقد الغربي وخصوصية السياق.

مفهوم الخصوصية عند البازعي

الخصوصية في سياق الخطاب النقدي عند البازعي، إنما يقصد بها الاختلاف النسبي القائم على جملة من السمات الثقافية التي نتجت عن تراكمات تاريخية وتفاعلا بيئية ومجتمعية، وما تم من اجتهادات فكرية وإبداعية على مستوى الأفراد، فهي في دلالتها الجوهرية امتداد لمفهوم الهوية، الذي تؤكد الممارسات الاجتماعية واللغوية. وهي هنا بالتحديد خصوصية الآخر المعني بالاستقبال في كتاب البازعي، أي خصوصية المناهج والمفاهيم النقدية الأدبية التي أنتجتها الحضارة الغربية⁽¹⁾.

وعتبه الخصوصية التي جعلها البازعي مدخلاً لنقده على النقد الغربي، ضرورة في ظننا بل هي الأساس الذي يبنى عليه مفهوم الاستقبال بمعناه المزدوج، فغالب من يستقبل الخطاب النقدي الغربي من نقادنا العرب، بل وكل الخطاب الثقافي المعرفي والفلسفي، يتغافل بعمدٍ أو إهمال ما لهذه الخصوصية من أثر عميق في المنتج الأدبي والنقدي الغربي، وأن خصوصية السياق الاجتماعي والسياسي والتاريخي الذي أفرز مدارس الأدب ومناهج النقد الغربية، لا يمكن عدم اعتباره في عملية الاستقبال، ولا يمكن التغاضي عن الفروق التي بينه وبين السياق الذي تولدت فيه الثقافة العربية التي يقحم الخطاب النقدي الغربي في نسجها كعضو غريب يتم زراعته في جسد ثقافتنا دون اعتبار لمدى ملاءمته لفصيلة الدم العربية أو اختلاف الأنسجة التي يتشكل منها جسد الثقافتين العربية والغربية.

وهذه الخصوصية والمركزية الحضارية الأوروبية/العربية للخطاب النقدي قد أكدها فلاسفة غربيين كثر مثل **إدموند هوسرل**⁽²⁾ صاحب الفلسفة الظاهرية⁽³⁾، حين تحدث عن الغاية الكامنة لأوروبا التي تحفظ تفوقها، وتدفع بالجماعات الإنسانية الأخرى إلى "أوربة نفسها باستمرار"⁽⁴⁾، وعلى تلك

(1) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، ط1، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، 2004م)، ص 45-46. (بتصرف).

(2) إدموند هوسرل **Edmund Husserl** (1859 - 1938م) فيلسوف ألماني ومؤسس الظاهريات.

(3) **الظاهراتية** أو **الفينومينولوجيا** هي مدرسة فلسفة تعتمد على دراسة الموضوعية أو الواقع كما يعاش ويختبر بشكل ذاتي. وهو أيضاً الخبرة الحدية للظواهر كنقطة بداية (أي ما تمثله هذه الظاهرة في خبرتنا الواعية) ثم تنطلق من هذه الخبرة لتحليل الظاهرة وأساس معرفتنا بها. غير أنها لا تدعي التوصل لحقيقة مطلقة مجردة سواء في الميتافيزيقا أو في العلم بل تراهن على فهم نمط حضور الإنسان في العالم. يمكن أن نرصد بداياتها مع هيغل كما يعتبر مؤسس هذه المدرسة **إدموند هوسرل**.

(4) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 47. (بتصرف).

الخصوصية نفسها يرى البازعي أن ميشيل فوكو⁽¹⁾ قد أسس قراءته لما سماه "أركيولوجيا" الثقافة الغربية وتحولاتها، متوصلاً إلى أن ثمة انقطاعين معرفيين في الثقافة الغربية، يبدأ الانقطاع المعرفي الأول مع العصر الكلاسيكي، بينما يشير الانقطاع الثاني في بداية القرن التاسع عشر إلى بداية العصر الحديث⁽²⁾.
ولفهم السياق الذي عاشه المرسل الغربي واستقبله العربي دون روية وانتقاء في غالب الأحيان، كان لابد للبازي من ذكر بعض المفاهيم الأساسية التي لعبت ولا تزال تلعب دوراً مركزياً في تشكل الثقافة الغربية، والتي ذكرها علم الاجتماع الألماني ماكس فيبر⁽³⁾ وهي:

■ **تطور ما يسميه الهوية العقلانية المنتظمة:** فالغرب هو الوحيد عند فيبر الذي طور النظام العقلاني الرأسمالي للنشاط البشري الحر، فالنظام العقلاني والاقتصاد الرأسمالي سمتان رئيسيتان للحضارة الغربية.

■ **المبدأ النفعي:** ويرى فيبر أن الصلة بين البروتستانتية والموروث اليهودي المسيحي قد أنتجت أخلاقيات نفعية، تقوم في أحد مبادئها على أن الصدق في المعاملة ضرورة طالما أدى إلى منفعة شخصية، وهو ضرر إن خلا من المنافع، وهذا مبدأ رأسمالي يعود إلى مبدأ توراني يهودي بالأساس، يجعل من جمع المال فضيلة.

وما يقوله فيبر يقود عند البازعي إلى نتيجة منطقية مؤداها " أن الحضارة الغربية حققت معدلاً من العلمنة لم يسبق له مثيل، وليس له موازٍ في مكان آخر، والعلمنة هنا تعني إزالة القداسة بإفراغ المرجعية الحياتية والثقافية للإنسان من أي بعد ميتافيزيقي أو أخروي ديني لاستبدالها بمرجعية دنيوية إمبيريقية حسيّة"⁽⁴⁾. وهذا الاستنتاج في رأينا إنما اتضح للبازي من كون الحضارة الغربية قد أحلت العقل الإنساني مكان الوحي المقدس الإلهي منذ بداية الانقلاب على الكنيسة الكاثوليكية وما أدى إليه ذلك من استبدال ما كان يعرف بالحق الإلهي⁽⁵⁾ عند الكنيسة، بما عرف بحقوق الإنسان الطبيعية، وكذلك

(5) ميشيل فوكو Michel Foucault (1926 – 1984م) فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين.

(1) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 47. (بتصرف).

(2) ماكسميليان كارل إميل فيبر Max Weber (1864 – 1920م) كان عالماً اجتماعياً ومؤرخاً ومحامياً واقتصادياً سياسياً ألمانياً ويُعتبر من بين أهم المُنظِّرين لتطور المجتمع الغربي الحديث. أثرت أفكاره بعمقٍ على النظرية الاجتماعية والبحث الاجتماعي.

(3) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 50.

(4) خلال العصور الوسطى الأوروبية تركزت نظريات عديدة في اللاهوت المسيحي عن «الحق الإلهي» في الحكم لفئات محددة ومحدودة في المجتمع على أسس عرقية، بعد أن انتقلت إلى اللاهوت المسيحي خلال القرون المسيحية الأولى أسطورة «المزج بين الإنسان والإله» التي كانت سائدة في حضارات قديمة شرقية وغربية. هذا المزج الذي تمثل في نموذج «الإنسان/الإله»، أو الكائن الذي نصفه إنسان ونصفه الآخر إله، أو الإله الأب (أوزوريس) والإلهة الأم (إيزيس) والإله الابن (حورس)، ذلك الثلاثي الذي انتقل إلى اللاهوت المسيحي بعد انتقاله من سياقات مصرية قديمة إلى السياقات الإغري-رومانية التي أخذت عنها المسيحية فكرة «الثالوث الأقدس»، و«الإنسان الإله»، وهي الفكرة المؤسسة لحرافة «الحق الإلهي» التي دفعت أوروبا الوسيطة والعالم القديم بسببها أثماناً باهظة. انظر: جميع، محمد،

فإن طبيعة الاقتصاد الرأسمالي دنيوية علمانية، ومن هنا رأي البازعي في تطور الهوية العقلانية المنتظمة وارتباطها بطبيعة الاقتصاد الرأسمالي المادي حالة من العلمنة الشاملة التي لم يسبق لها مثيل في الحضارات البشرية.

وقد تجلّت الخصوصية الغربية في مجال النقد في كتاب "استقبال الآخر الغرب في النقد العربي الحديث" من خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول: من المقدس إلى الدنيوي. **والمحور الثاني:** البنيوية وتصعد الحلم. **والمحور الثالث:**

جيمسون والتقويض الماركسي:

1- من المقدس إلى الدنيوي: فراي وشكلانية النماذج

ارتبط المحور الأول: من المقدس إلى الدنيوي بالناقد الكندي فراي⁽¹⁾ وشكلانية النماذج، فلكي ينسجم مذهب النقد مع غايته عند فراي لابدّ للمبادئ والفرضيات النقدية أن تنمو من الفن الذي تناوله النقد، ومن هذا المنطلق يسعى فراي إلى استقلالية النقد وبناء شخصيته العلمية، ومن ثمّ فإنّ النقد يجب أن ينفصل عن غيره - ومن وجهة نظر فراي- فلا تؤخذ مبادئ النقد جاهزة من اللاهوت، أو الفلسفة، أو السياسة، أو العلم، أو من أي من هذه العلوم مجتمعة⁽²⁾.

والمنهج الذي اتبعه فراي في الكثير من أعماله النقدية المهمة، هو المنهج النموذجي أو الأسطوري، أو ما يُعرف بالنقد الشكلي الذي يشمل النقد الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية والشكلانية الروسية، فالقاسم المشترك بين هذه المناهج، هو استقلالية الأدب عن غيره من الخطابات الأخرى، فاستقلالية الأدب لا ترجع إلى الحياة الاجتماعية أو حركة التاريخ، إنما ترجع إلى الأدب نفسه، من خلال العلاقات الشكلية: الرموز، الاستعارات، إلخ. ومبدأ النقد عند فراي يتفق مع ما حدده إليوت⁽³⁾ في مقاله "دور النقد"، وهو أن يُنظر إلى الأعمال الأدبية بوصفها تشكل نظامًا مثاليًا فيما بينها، وبالتالي يعلق فراي على كلام إليوت بقول: "هذا هو النقد الأساسي"، ثم يصف كتابه تشريح النقد بأن محاولة للتمهيش على مقولة إليوت⁽⁴⁾، أي أن مقولة إليوت هي المتن لكتاب فراي "تشريح النقد" الذي يمثل حاشية للمقالة.

"الحق الإلهي وجذور التقديس"، جريدة الوطن السعودية، مؤسسة عسير للصحافة والنشر، السعودية، (الأربعاء 28 يوليو 2021- 18 ذو الحجة 1442هـ)، <https://www.alwatan.com.sa/article/1082740>، 2024/12/10 م.

(1) هيرمان نورثروب فراي Northrop Frye (14 يوليو 1912 - 23 يناير 1991) ناقد ومنظر أدبي كندي، زميل الجمعية الملكية الكندية وحاصل على وسام كندا، ويُعدّ أحد أكثر الكتاب تأثيرًا في القرن العشرين.

(2) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص51.

(3) توماس ستيرنز إليوت Thomas Stearns Eliot، شاعر ومسرحي وناقد أدبي حائز على جائزة نوبل في الأدب في 1948.

(4) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص52.

ومنهج فراي كان الانطلاقة الأولى للبازعي؛ ليكشف خصوصية المناهج النقدية الغربية، والتحول العلماني المتسارع هو نوع من الخصوصية، فقد نظر فراي إلى النص الأدبي نصًا موازيًا لنصّ مقدس آخر، وبالتالي يكون الديني متواريًا أكثر من كونه ظاهرًا، وهذا ما ظهر في فكر الناقد الأمريكي بلوم عل حد قوله: إنه لم تعد هناك هرطقة دينية؛ لأنه لم تعد هناك أصولية دينية⁽¹⁾.

2- البنيوية⁽²⁾ تصدعات الحلم

أما المحور الثاني: البنيوية تصدعات الحلم، فمن العنوان يتضح أن البازعي يصب اهتمامه على نهاية البنيوية وتفككها وتحولها إلى العدمية، فقد أصبحت جزءًا من الماضي، وهذا ما هدف إليه البازعي في هذا المحور، ويتضح هذا من قوله في أثناء حديثه عن تدوروف⁽³⁾: "في الماضي أيضًا في الماضي القريب، لم يكن هذا الكلام الذي يلخص الكثير مما يحاول هذا الفصل أن يثبت؛ ليصدر عن واحد من أبرز وأنشط النقاد البنيويين في الغرب، العدمية كما اتضح الآن لتدوروف هي النتيجة المنطقية لتوقف مهمة الناقد عند إيضاح النص، معنى النص، ووصف أشكاله وأدائه النصي بعيدًا عن الأحكام القيمة، أي النتيجة المتوقعة لانشغال الناقد بالنقد البنيوي"⁽⁴⁾.

والبنيوية لم تُقد إلى العدمية وحدها في نقد تدوروف، بل العدمية عنده أيضًا تمتد إلى ما بعد البنيوية، بارت⁽⁵⁾ رائد من رواد البنيوية أيضًا، ويرى البازعي أنه يحتل موقعين متناقضين، وهذان الموقعان المتناقضان، يعطيانه موقعًا فريدًا في الفكر النقدي الغربي بوصفه مؤسسًا للنموذج، ثم هادمًا له، فالبنيوية شأنها شأن المناهج الأخرى، أبعد ما تكون عن الثبوتية أو الوثوقية، وقد انقلب عليها بارت في منتصف الستينيات، وأعلن عدم اقتناعه بسلامة الأفكار التي كان يدعو إليها⁽⁶⁾. وربما تكون المادية الكامنة في البنيوية من أهم أسباب تصدع الحلم، ووصولها إلى العدمية، وفي حوار مع مجموعة من المفكرين الفرنسيين

(1) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 54-55.

(2) إن البنيوية الأدبية في جوهرها تركز على «أدبية الأدب» **Literariness** وليس على وظيفة الأدب أو معنى النص. أي أن الناقد البنيوي يهتم في المقام الأول بتحديد الخصائص التي تجعل الأدب أدب والتي تجعل القصة أو الرواية أو القصيدة نصًا أدبيًا. ولكي يحقق ذلك عليه أن يدرس علاقات الوحدات والبنى الصغيرة بعضها ببعض داخل النص في محاولة للوصول إلى تحديد للنظام أو البناء الكلي الذي يجعل النص موضوع الدراسة أدبا، وهو نظام يفترض الناقد البنيوي مقدما أنه موجود وبعد ذلك يحاول تطبيق خصائص النظام الكلي العام على النصوص الفردية معطيا لنفسه حق التعامل بحرية مع بنى النص الصغرى ووحداته. انظر: حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ع 232، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م)، ص 159.

(3) تزفيتان تدوروف **Tzvetan Todorov**، المؤرخ والفيلسوف والسيماي وعالم الشعرى الفرنسي البلغاري.

(4) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، ط 1، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، 2004م)، ص 63-64.

(5) رولان بارت **Roland Barthes**، فيلسوف فرنسي، ناقد أدبي، دلالي، ومنظر اجتماعي.

(6) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 64.

وافق **كلو ستراوس** (1) - وهو من رواد البنيوية- على وصف البنيوية بأنها فلسفة مادية (2)، ومن هنا كان **جان بول سارتر** (3) من أوائل الذين انتقدوا البنيوية من منظور ماركسي مادي. لكن النقد التقويضي (التفكيكية) (4) هو الذي هدم حلم البنيويين، وانتهى بنظريتهم إلى العدم، فالنقد التقويضي الذي دشنه **ديريدا** (5) كان من أبرز المنطلقات التي هوجمت من خلالها البنيوية (6). أما الذي توسع في نقد البنيوية فهو الناقد الأمريكي **فريدريك جيمسون** (7)، وهو ناقد تقويضي، وقد ظهر كتاب له في أوائل السبعينيات بعنوان "سجن اللغة: قراءة نقدية للبنيوية والشكلانية" وكان مؤشراً على توجه تقويضي مبكر (8).

وبعد أن عرض البازعي بشيء من التفصيل والتحليل خلص إلى نتيجة، ملخصها أن أهم خصوصية من خصوصيات الفكر الغربي أنه ينقد نفسه بنفسه.

فالبنيوية الغربية كانت استغرافاً متطرفاً في المادية، لقد عزلت النص الإبداعي عن العالم الذي يصفه وينفعل به، كما تعزل التجربة العلمية موضوعها في المعمل عن البيئة الطبيعية التي يتفاعل معها وينمو فيها، لقد نمت في بيئة علمية ومادية وعلمانية شاملة، تنظر إلى الإنسان بوصفه إلهماً يمكنه السيطرة على الطبيعة عن طريق فهم خصائص المادة في معمله، بيئة تزعم أن التطور البشري سيستمر إلى الأبد حتى يستطيع الإنسان أن يخلق نفسه ويبنى جنته الخاصة على الأرض. لكن يبدو أن هذا الوهم تحطم فوق جثث الملايين والدمار الذي لحق بأوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، وتطورات العالم بعدها فظهرت

(1) **كلود ليفي ستروس Claude Lévi-Strauss**، عالم اجتماع وأثنوبولوجي فرنسي، يعد من أهم البنيويين المعاصرين، وأكثرهم شهرة، بل إن البنيوية ترتبط باسمه ارتباطاً مباشراً.

(2) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 66.

(3) **جان-بول شارل إيمارد سارتر Jean-Paul Sartre**، هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي.

(4) نشأت التفكيكية على أنقاض البنيوية، وازدهرت في السبعينات، من القرن الماضي، وترتبط النظرية التفكيكية باسم الفيلسوف الفرنسي **جاك دريدا**. يقول عبد العزيز حمودة أن "التفكيكية المعاصرة باعتبارها صيغة لنظرية النص والتحليل تخرب subverts كل شيء في التقاليد تقريباً وتشكك في الأفكار الموروثة عن العلامة واللغة والنص والسياق والمؤلف والقارئ ودور التاريخ وعملية التفسير وأشكال الكتابة النقدية. وفي هذا المشروع فإن المادي ينهار ليخرج شيء فظيع. انظر: حمودة، عبد العزيز، المرايا المخدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ع 232، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م)، ص 254.

(5) **جاك دريدا Jacques Derrida**، هو فيلسوف وناقد أدب فرنسي.

(6) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 68.

(7) **فريدريك جيمسون Fredric Jameson**، هو ناقد أدبي أمريكي ومنظر سياسي ماركسي. يعتبر من أفضل المعروفين في مجال تحليل الاتجاهات الثقافية المعاصرة.

(8) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 69-71.

فلسفات عدمية وعشبية كالوجودية، ومناهج نقدية هدامة وتقويضية متطرفة رداً على النقد البنيوي القائم على علاقات وحدات البناء داخل النص، فكانت التفكيكية هو رد الفعل الصارخ على البنيوية.

3- جيمسون والتقويض الماركسي

وعندما انتقل البازعي إلى المحور الثالث: **جيمسون والتقويض الماركسي**، توقف عند كتابه "اللاوعي السياسي"، ليتبين منهجه التقويضي، المترجم لدى العرب بالتفكيكي، ويربط البازعي بين النقد التقويضي والمنحى السيميولوجي عند جيمسون في كتابه، يقول البازعي: "فالنقد نوع من الأدب، وأن الاثنين نوع من الكتابة،" أضف إلى ذلك استخدام جيمسون لعبارات مثل "التقويض"، ومرادفها الاقتلاع، لوصف المنهج المطبق في الدراسة. لكن لعل الأهم من ذلك هو طبيعة المنهج المطبق في الدراسة نفسه بوصفه ووقفاً أمام تفاسير النصوص نفسها، وذلك لاكتشاف الكيفية التي نحاول من خلالها أن نواجه النص وملكه. هذا المنهج ينحو منحى سيميولوجياً، إذ يتجه إلى تحديد القواعد والأعراف التي يمتصها أفراد ثقافة ما، سواء على مستوى الوعي أم اللاوعي، والتي تجعل المعنى الذي تحمله الظواهر ممكنًا"⁽¹⁾.

إلا أن هناك اختلاف بن ماركسية جيمسون ومنهجي التقويض والسيميولوجيا الذي بوصفه علماً للعلامات يسعى إلى كشف الأعراف والقواعد التي تحكمنا في تفسير الخطاب بمختلف أنواعه؛ فليس شاغل الناقد الماركسي أن يبحث فيما وراء الخطاب أو تطوير فهمنا للأعراف التي يقوم عليها الأدب كمؤسسة أو كأسلوب في الخطاب، بل إن ما يكمن وراء منهج جيمسون أيديولوجية غائية محددة، ترى التاريخ الأدبي بمفهوم ماركسي؛ أي بوصفه قصة مستمرة للصراع الطبقي، فكونه تقويضياً يعني بالنسبة إليه نقض وتقويض التفسيرات التي تزعم براءة من المضمون السياسي، أو أنها لا تجد في الأدب ما يسمى الصراع الطبقي"⁽²⁾.

ويطرح البازعي عنواناً، لكنه لم يقف عند حدوده، بل نراه يتوسع في الآراء، ويلم بالموضوع من كل جوانبه، وهذا دأبه ليس مع المنهج التقويضي الذي بين أيدينا فحسب، بل في كل مباحث الكتاب، فلم يتوقف عند جيمسون وحده، لكن نرى آراء كثيرة لأصحاب المنهج التقويضي، ويشير البازعي كثيراً من القضايا.

ومن المشكلات التي طرحها عدم تخلص التقويضيين من الميتافيزيقا التي حاولوا الابتعاد عنها في نقدهم، في الوقت الذي يحاولون التخلص منها، مثلما أعلن نيتشه: أنه لا استغناء لنا - نحن أعداء

(1) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 74-75.

(2) انظر: مصدر سابق، ص75.

المتأفزيقا الذين لا إله لهم- عن العقيدة المسيحية، بل إن التقويضيين هم من أكثر مفكري الغرب ونقادهم المعاصرين، وعيًّا بإشكالاتهم المعرفية، ومن ضمنها تحيزاتهم، وأسباب توجههم التقويضي⁽¹⁾.
وأبدي البازعي بعض الملاحظات على المنهج التقويضي، عندما انتهى من هذا المحور، وهي:
يكمن قدر هائل من التحيز البروتستانتى ضد المقدس.

- تقويض المركز المنطقي في الفلسفة الأوربية منذ اليونانيين، مع ما يتصل بها من مفاهيم.
- ولد التقويض من رحم التمرکز المنطقي الغربي، أي المنطق بوصفه إرثاً حضارياً وظَّف لصالح فئة دون أخرى.

إن الخصوصية الغربية التي بينها البازعي من كل جوانبها تكشف عدة جوانب، يرمي إليها البازعي، وإن لم ينصَّ عليها صراحة، فقد توصل أن النقد الغربي ينقض نفسه بنفسه، وإن التمرکز المنطقي الغربي وظَّف لصالح فئة معينة، وهي الغرب نفسه، ومن ثمَّ نلاحظ أن النقاد العرب يستعدون النظرية النقدية الغربية بعد ما وصلت إلى العدمية، وتموت في الغرب، وأن التمرکز المنطقي الغربي يصلح لبيئة غير البيئية العربية، وبالتالي رصد كثيرًا من المشكلات والتناقضات لدى النقاد العرب في أثناء دراسته لاستقبال النقد العربي للآخر الغربي في القسم الثاني من الكتاب الذي حُصِّص للنقد العربي.

المطلب الثاني: تأصيل المفاهيم في التراث النقدي بكونه بديلاً معرفياً:

في القسم الثاني من كتاب البازعي، كان من المناسب أن يبدأ المؤلف فيه ببداية عملية الاستقبال العربي، في مقابل ابتدائه بخصوصية الآخر الغربي في القسم الأول من الكتاب، مؤرخاً لبداية هذا الاستقبال والتفاعل العربي مع النقد الغربي ببداية الحركة الإحيائية العربية أوائل القرن التاسع عشر، إذ لا يمكن تصور هذه المرحلة بدون مؤثراتها الغربية الكثيرة التي أدت إلى الانعطاف في الممارسة النقدية. وبالرغم من انشغال النقاد بالترجمة والنقل عن الثقافة الغربية ومؤثرات ذلك، إلا أنَّ هذه التأثيرات ظلت مرهونة بالمرور العربي والهوية الثقافية العربية الإسلامية، وهاتين القوتين المؤثرتين؛ قوة المرور الثقافي العربي الأدبي والبلاغي، وقوة الثقافة الغربية الوافدة حديثاً وتبني تياراتها ومدارسها ومفاهيمها النقدية، ظلنا عملي جذب وشد للمشتغلين في حقل النقد العربي، فهناك العديد من الدراسات العربية في القرن التاسع عشر التي سعت إلى استعادة البلاغة العربية، والتأسيس لآفاق جديدة في النقد والتعبير الأدبي؛ منها الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية (1875-1897م) للشيخ حسين المرصفي⁽²⁾، وفلسفة

(1) انظر: المصدر السابق، ص 82.

(2) الشيخ حسين أحمد المرصفي هو شيخ الأدباء في عصر الخديوي إسماعيل، وهو من أوائل أساتذة دار العلوم عند إنشائها، وكتاب "الوسيلة الأدبية للعلوم العربية" يتضمن المحاضرات التي ألقاها الشيخ حسين المرصفي على طلبة دار العلوم في السنوات الأولى من إنشائها.

البلاغة لجبر ضومط⁽¹⁾ (1899م)، وتاريخ علم الأدب عند العرب والإفرنج وفكتور هوكو (1904م) لروحي الخالدي⁽²⁾، ومنهل الرواد (1907م) لقسطاكي الحمصي⁽³⁾، وللكتب الثلاثة سمات ثلاثة كما رأى الناقد المصري محمود أمين محمد، هي: 1) تجديد العلاقة بالتراث من خلال الإحياء. 2) بروز الأنا الذاتي والاجتماعي والقومي والوطني. 3) الاهتمام بالوجدان. والأخيرة تشير إلى التيار الوجداني الذي سرعان ما تطور في الشعر العربي.

والواقع في ظننا أن هذه الكتب الثلاثة وهذه السمات الثلاثة لها تعكس حالة التوتر بين الحفاظ على هذا الموروث والاستجابة للإغراءات الغربية التي ألفت بظلالها على المنتج النقدي العربي وقتها، فكتاب الشيخ المرصفي يعكس الانشداد إلى الموروث العربي، بينما كتاب ضومط يعكس حالة تقليد من الثقافة العربية للغربية، فحين نظرنا في عنوان الكتاب وجدناه مترجماً إلى الإنجليزية، رغم محتواه العربي الصرف، وهذا يعكس تأثيراً خفياً بالثقافة الغربية في ظننا، في حين أن كتاب روح الخالدي يبرز ميلاً واضحاً للتيار الغربي الجديد. رغم أن البازعي يجد في دراساته سمات النزعة الوطنية القومية، ومحاولة لفتح آفاق المقارنة بين الأدبين العربي والغربي، وأنه "ينتصر لروح وطنية قومية تسعى إلى توطيد موقعها بين الأمم الأخرى، وكانت الدراسة الأدبية سلاحاً آخر في ذلك المسعى الحضاري السياسي الشامل حين يؤكد أسبقية التراث العربي وتأثيره على تطور الأوروبيين"⁽⁴⁾، لكن هذه في ظننا إرهافات الانجذاب إلى الغرب، فالمضمير في هذا الانتصار للروح الوطنية وأسبقية التراث العربي، هي حالة إعجاب أولية تمثلت في أفراد صفحات طوال من الكتاب لسيرة الأديب الفرنسي فكتور هوجو، فهو جنوح طفيف للغرب مع الانحياز إلى الموروث العربي.

يستطرد البازعي في آلية الاستقبال، وإن الناقد العربي ظل يؤسس لمرحلة المحافظة على النقد العربي حتى وصل إلى حالة عالية من النضج، وذلك عبر الترجمة ونقل النظريات والمناهج والمصطلحات الغربية، ومن النماذج التي ساقها البازعي للاتجاه النقدي العربي الذي حاول المحافظة على صورة الموروث العربي الإسلامي كان محمد مندور⁽⁵⁾. قدّم البازعي محمد مندور صورة للحفاظ على التراث النقدي العربي حيث قامت آراؤه النقدية على الفصل بين الأدب العربي والأدب الغربي فيقول "عندما نريد درس

(2) جبر ابن ميخائيل ضومط (1858-1930) لغوي، اديب مترجم وصحفي. ولد في قرية برج صافيتا شمال طرابلس الشام.

(3) محمد روجي ياسين الخالدي المقدسي (1864 - 1913) باحث أدبي وسياسي عربي فلسطيني، ولد في القدس وتوفي بالأستانة من رواد النهضة الحديثة.

(4) قسطاكي بن يوسف بن بطرس بن يوسف بن ميخائيل الحمصي (1858-1941) شاعر، من الكتاب النقاد.

(5) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، ط1، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، 2004م)، ص95.

(6) محمد عبد الحميد موسى مندور (1325هـ/1907-1384هـ/1965م)، ناقد أدبي وكاتب مصري متنوع، ولغوي. مارس الصحافة والتدريس الجامعي..

الأدب العربي يجب أن نكون من الفطنة بحيث لا نحاول أن نطبق عليه آراء الأوروبيين وقد صاغوها لآداب غير أدبنا"⁽¹⁾.

ومن هنا فإن محمد مندور يؤمن بأن لكل أدب خصوصية يحافظ عليها، ولا يمكن انتقالها إلى أدب آخر، وقد قدم في كتابه "في الميزان الجديد" المنهج اللانسوني القائم على التدوق، ورفض علموية النقد التي نادى بها محمد خلف الله، ثم قدم مندور المنهج الأيديولوجي في كتابه "النقد والنقاد المعاصرون"، وكان هذا التقديم عبارة عن مجموعة من الفلسفات الأوروبية منها الفلسفة الاشتراكية، والفلسفة الوجودية، ويؤكد مندور منهجه في هذا الكتاب⁽²⁾. وقد قام البازعي في دراسة أدب محمد مندور بتقسيم مراحل التطور النقدي عنده إلى مرحلتين هما:

مرحلة النقد الجمالي التأثري، ومرحلة النقد الأيديولوجي، وأضاف محمد برادة مرحلة ثالثة

هي المرحلة الوصفية التي سعى في أثناءها الالتزام بأسلوب علمي تحليلي محايد.⁽³⁾

ويعود ذلك إلى شدة تأثير مندور بأوروبا حيث يقول: "منذ عودتي من أوروبا أخذت أفكر في الطريقة التي نستطيع بها أن ندخل الأدب العربي المعاصر في تيار الآداب العالمية، وذلك من حيث موضوعاته ووسائله ومنهج دراسته على السواء، وقد كنت أؤمن بأن المنهج الفرنسي في معالجة الأدب هو أدق المناهج وأفضلها في النفس"⁽⁴⁾. وبالرغم من مناداة مندور بالحفاظ على الموروث الثقافي العربي والأصالة العربية إلا أنه لم يخل من التبعية الغربية يقول البازعي: إن مندور "يناقش نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم، ويربط تلك النظرية ربطاً لعله الأول من نوعه بالنظريات الأوروبية الحديثة في علم اللغة، منها نظرية سوسير"⁽⁵⁾.

إن التبعية التي يصف بها البازعي محمد مندور، لم تكن تبعية للغرب بقدر ماهي تأثر بهذا الغرب، وهذا التأثر لا يعني الذوبان في الآخر الغربي، كما كان لدى تيار الواقعية الاشتراكية، هذا المذهب الذي اعتنقه مندر فترة من حياته. ولم يفسر البازعي أسباب اتجاه مندور العروبي في نقده نحو المحافظة على الهوية العربية الإسلامية، ولعل ذلك يرجع إلى نشأته، فقد ولد مندور لأسرة ثرية، جمعت بجانب الثراء التدين وحب العمل الخيري، وقد رأى مندور في طفولته وصباه اهتمام أسرته بالعبادة واستضافة المشايخ ورجال الصوفية، فأثر ذلك في نفسه تأثيراً كبيراً، وقد حفظ سوراً من القرآن الكريم، وتشبع بالقيم الخلقية والدينية التي شاعت في أسرته.

(3) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص119.

(4) انظر: المصدر السابق، ص120.

(5) المصدر السابق، ص119.

(1) مندور، محمد، في الميزان الجديد، (مؤسسة هنداوي، 2020م)، ص9.

(2) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص121.

وقد قال مندور في حديث له: "ويحْيَلُ إِلَيَّ إن هذه النشأة الأولى في ذلك الوسط الروحي والأخلاقي، هي التي غرست في نفسي التمسك بالقيم الأخلاقية، والحفاظ عليها دائماً، مهما كلفني ذلك من ثمن"⁽¹⁾.

ولا ريب أن هذه النشأة الدينية كانت لها تأثيرها في توجه مندور النقدي، مع تحولاته الفكرية التي استقرت به في نهاية المطاف مع الاشتراكية أو الماركسية، حيث ظل متمسكاً بالقيم والفضائل الخلقية، وقد شهد له بذلك الخصوم قبل الأصدقاء. وقد يبدو مندور متناقضاً مع مذهب الواقعية الاشتراكية، واتباعه لهذا المذهب لم يمنعه من الدفاع عن الأخلاق، أو ما يمكن تسميته بخلقية الأدب⁽²⁾. فقد كان الموقف الخلقى لدى محمد مندور أقوى من انتمائه السياسي، وفوق الموقف المنهج النقدي الذي كان ينظر إلى الأدب (الفن للفن)، فقد كانت فلسفته أشد انحيازاً للإنسان والأخلاق "لقد دأب كثير من الاشتراكيين على استباحة الإسلام والأخلاق بحجة أن الفن شيء والأخلاق والدين شيء آخر، لكن مندور خاض العديد من المعارك دفاعاً عن الأخلاق والقيم الدينية، ضد من نالوا منها، حتى لو كانوا من الاشتراكيين أنفسهم"⁽³⁾. من كل ما سبق يتضح أن محمد مندور أفاد من مناهج الغرب، ولم يتبعه اتباع المقلد الناقل بلا وعي، وموقفه لا يختلف عن موقف البازعي نفسه من الانفتاح على الغرب والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية.

ومن التيارات التي استقبلها الناقد العربي من الغرب، وتتوقف عندها البازعي: التيار الواقعي، والتيار الأسطوري. وقد اتجه التيار الواقعي إلى دراسة الأدب بوصفه نتاجاً للواقع الطبيعي أو الاجتماعي أو التاريخي من خلال معطيات ومفاهيم معينة حددها الفكر الغربي، الماركسي منه بشكل خاص⁽⁴⁾. والتيار الواقعي بصورته الماركسية قد عُرف في تاريخ النقد الأدبي الحديث بأسماء متعددة، منها: النقد الاجتماعي، النقد الأيديولوجي، النقد اليساري، النقد الواقعي الاشتراكي، النقد الماركسي، النقد الديالكتيكي (الجدلي).

هذا وقد هيمن هذا التيار الغربي على النقد العربي على مدى عقدين كاملين من القرن العشرين، هما: الخمسينيات والستينيات، ومن أوائل النقاد الذين استندعاهم البازعي ممثلاً لهذا التيار الناقد

⁽³⁾ ينظر: القاعود، حلمي محمد، النقد الأدبي الحديث بدياته وتطوراته، (دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 1427هـ - 2006م)، ص219.

⁽⁴⁾ ينظر: المرجع السابق، ص227.

⁽¹⁾ ينظر القاعود، حلمي محمد، النقد الأدبي الحديث بدياته وتطوراته، مرجع سابق، ص228.

⁽²⁾ البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص135.

اللبناني **رئيف خوري** ⁽¹⁾، فقد ألف كتاباً في فكرة مبكرة بعنوان "الدراسة الأدبية" 1939م، ودعا إلى دراسة الأدب والتاريخ على أساس المؤثرات البيئية التي تشكل الواقع الطبيعي والثقافي للأدب، متأثراً بسانت بييف ⁽²⁾، وهيبوليت تين ⁽³⁾، وغيرهم ⁽⁴⁾. ودعا خوري في كتاب آخر "الأدب المسؤول" إلى تجاوز النقد الجمالي، والنقد التاريخي، والنقد النفسي، ليتوقف عند نقد المضمون الفكري الذي يشتمل عليه الأدب نقداً فلسفياً عقائدياً على ضوء البيئة الحاضرة في واقعها المنشود ⁽⁵⁾.

وهناك عدة دوافع أدت إلى ازدهار التيار الواقعي في العالم العربي، يذكرها البازعي بقوله: "ترافق ازدهار التيار الواقعي مع التطورات الاجتماعية والسياسية، التي شهدتها الواقع العربي في أواسط القرن العشرين، والتي تمثلت بحركات التحرر القومي من الاستعمار، وبناء الأقطار العربية باستلهاهم بعض النماذج السياسية والأيدولوجية السائدة في العالم آنذاك، فسواء كان ذلك في مصر، أم في الشام، أم في العراق، كان الأدب ومعه النقد الأدبي، يستجيبان للمتغيرات المحيطة والمتحققة حولهما، أو يتخذان مواقف تدعو إلى أنماط من التغيير لم تكن قد تحققت ⁽⁶⁾. وتحالفات الأنظمة مع الأحزاب الشيوعية، منحت النقد الواقعي مركزاً مميّزاً في تلك البلاد، وهذا المركز لم يتحقق في بلاد أخرى، مثل: المغرب العربي، والجزيرة العربية، لكن البازعي لم يَر اختفاء التيار الواقعي في هذه البلاد، وضرب مثلاً كتاب الناقد السعودي عبد الله عبد الجبار "التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية" 1959م، وعرض للتيار الواقعي ضمن تيارات أخرى ⁽⁷⁾. ومن المسلم به أن النقاد في المغرب والجزيرة عرفوا التيار الواقعي عن طريق الترجمات التي كانت تأتيمهم من مصر. وتوقف البازعي عند كتاب "في الثقافة المصرية" (1955م) لمحمود أمين العالم ⁽⁸⁾ وعبد العظيم أنيس ⁽⁹⁾، الذي كان فاعلاً في إرساء النقد الماركسي في العالم العربي. ويمكن أن نتبين هيمنة التيار الواقعي في منتصف القرن العشرين على حركة النقد العربي من خلال النقاد

⁽³⁾ **رئيف خوري** (1913 – 1976م) أديب ومفكر وصحافي وشاعر وقاص وناقد لبناني. يُعدّ من أبرز أركان مجلة الآداب مع نزار قباني، ونازك الملائكة، وعبد الله عبد الدايم، وخليل حاوي. مارس التدريس في لبنان وسوريا وفلسطين. وله عشرات الأعمال الفكرية والأدبية المنشورة.

⁽⁴⁾ شارل أوغستان سانت. بييف **Charles Augustin Sainte-Beuve** كاتب وناقد فرنسي.

⁽⁵⁾ **Hippolyte Taine** هيبوليت أدولف تين هو فيلسوف ومؤرخ وناقد أدبي وفني فرنسي.

⁽⁶⁾ انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 136.

⁽⁷⁾ انظر: خوري، رئيف، الأدب المسؤول، ضمن كتاب "نظرية النقد"، تحرير: محمد كامل الخطيب، (منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002م)، 510/2.

⁽⁸⁾ انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 139.

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق، ص 139.

⁽³⁾ **محمود أمين العالم** (1922 – 2009م) مفكر وناقد ثقافي وكاتب مصري.

⁽⁴⁾ **عبد العظيم أنيس** (1923 – 2009م) هو عالم رياضيات وكاتب وناقد أدبي وباحث تراث علمي مصري.

الذين عدّهم محمود أمين العالم مؤسس النقد الماركسي، و"هؤلاء النقاد، هم: عصام حفني ناصف، وسلامة موسى، وعمر فاخوري، مفيد الشوباشي، وحسين مروّة، ولويس عوض"⁽¹⁾.

ويعد من الأجيال الجديدة نقاداً منهم: إبراهيم فتحي، ونبيل سليمان، ويمني العيد، وفريد النقاش، وغالي شكري، ونلفت النظر هنا إضافة شكري عياد، ورجاء النقاش إلى القائمة"⁽²⁾.
ومن اللافت للانتباه أن البازعي الذي يقرأ فكر النقاد العرب قراءة واعية لم يأخذ الأمر على علّاته، بل يُخرج شكري عياد من القائمة مستنداً إلى أن عياداً لم يلتزم في أعماله الأولى بمنهج محدد، لكنه اشتهر فيما بعد بالأسلوبية، ثمّ اتجه إلى التفسير الحضاري للأدب، ورجاء النقاش اشتهر بقراءات أقرب إلى الانطباعية غير الممنهجة"⁽³⁾.

والبازعي لم يتوسع في الحديث عن "في الثقافة المصرية" ذلك الكتاب الذي أحدث ضجة في الأوساط الثقافية بسبب تبنيّة الفكر الاشتراكي أو الماركسي، وقد واجه أمين العالم، وعبد العظيم أنيس سيلاً من النقد اللاذع والاتهامات بالشيوعية والإلحاد والمادية، بل والسذاجة، وعدم الفهم، وكان من المهاجمين طه حسين، وقال عن العالم: إنه يوناني لا يقرأ، فيما قال العقاد عن العالم، وأنيس: إنني لا أناقشهما، إنما أضبّطهما أنهما شيوعيان"⁽⁴⁾. والواقع أن العالم وأنيس كانا لا يخفيان اتجاههما الماركسي، ولم ينقل البازعي بعض النصوص من الكتاب التي توضح مذهب الاشتراكية الواقعية في كتابه، إلا أننا هنا

⁽⁵⁾ **عصام الدين حفني ناصف**: أحد رواد الحركة الوطنية المصرية في مطلع القرن العشرين، كان متبنيّاً الأفكار الاشتراكية، إلا أنه اعترض على تأسيس الحزب الاشتراكي في مصر؛ لأنها في هذه المرحلة بحاجة إلى تجميع القوى من كل التيارات. لكنه كان نصيراً للشيوعيين عندما دخلوا السجن، وأسّس «جمعية الدفاع عن السجناء الشيوعيين والوطنيين»، وسلامة موسى (1887 – 1958م)، هو رائد الاشتراكية المصرية ومن أول المرّوجين لأفكارها، وعمر فاخوري (1895 – 1946م)، هو أديب وناقد ومفكر لبناني، ويعتبر علم من أعلام النهضة الأدبية المعاصرة في لبنان، ومفيد الشوباشي (1899 – 1972م) شاعر ومترجم وأديب من رواد المدرسة الواقعية في الأدب المصري.

حسين مروّة، (1910 – 1987م)، هو مفكر وفيلسوف وباحث، وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني سابقاً قيادي شيوعي بارز في لبنان والعالم العربي، ولويس عوض (1915 – 1990م)، مفكر ومؤلف مصري، ولد في المنيا. ركز على الدور النقدي للمثقف، ومحاربة تجميد الفكر وتقديس ماضي الثقافة العربية.

⁽⁶⁾ **إبراهيم فتحي** (1931-2019) ناقد وكاتب ومفكر مصري من نقاد الستينات، لُقّب بعميد المثقفين اليساريين، ونبيل سليمان (1945م) كاتب وروائي سوري، وله العديد من الدراسات والكتب النقدية، ويمني العيد (1935) كاتبة وناقدة أدبية لبنانية، وتعدّ أستاذة في النقد العربيّ في أكثر من جامعة عربية وغربيّة، وغالي شكري غالب (1935 – 1998م)، كاتب وباحث وناقد ومؤرخ مصري، اشتهر بأبحاثه وكتبه النقدية الكثيرة، وعبد الفتاح شكري محمد عياد (1921-1999م) ناقد وقاص وأستاذ جامعي مصري.

رجاء عبد المؤمن محمد النقاش (1934 – 2008م)، ناقد أدبي وصحفي مصري.

⁽¹⁾ انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 144.

⁽²⁾ انظر: عبد الرحمن، محمد، "في الثقافة المصرية كتاب محمود العالم أثار غضب عميد الأدب العربي"، جريدة اليوم السابع، مصر، (الأحد

حاولنا نقل أحد النصوص التي قد تلمح إلى ذلك، يقول: "فمن واجب الأديب الواقعي أن يكون ذا نظرة متكاملة إلى العالم الذي يجيا في داخله عن فهم مترابط لهذا الكون وأطواره، وبشكل خاص، ينبغي أن يتضح هذا جلياً في فهمه لمجتمعه الخاص، وتجاوبه معه، فالأديب في مصر مثلاً لا يكفي أن يقتصر فهمه على القرية مثلاً، إذا كان قد نشأ في القرية، أو على الحياة في القاهرة إذا كان أديباً قاهرياً، إنما من الواجب أن يكون ذا فهم ملّم متكامل للمجتمع المصري، وعلى بيئة من القوى المختلفة التي تتصارع في أحشائه"⁽¹⁾. وهذا الرأي تحكم وفرض لمفاهيم الواقعية الاشتراكية، فالإزام الأديب بوعي اجتماعي شامل، حتى تكون لديه القدرة على الكتابة الجيدة، شرط يتجاهل اختلاف منابع الإبداع واختلاف الخبرات بين كاتب وكاتب آخر⁽²⁾.

وأفرد البازعي للتيار الشكلاي الذي استقبله العرب عددًا كبيراً من الصفحات، وكان هذا التيار مدعوم فلسفياً كما يبدو، ويقوم على "عزل النص عن أية مؤثرات تاريخية، أو اجتماعية، أو شخصية تتصل بمؤلفه، واعتبار النص شبيهاً بالكائن العضوي المكتفي بذاته، أو بنية مستقلة بنفسها، لا عن كاتبها أو محيطه فحسب، وإنما عن غيرها من الأعمال، أو عن أشكال الكتابة الأخرى، كل ذلك مما عرفه النقد الغربي ضمن فلسفة خاصة، تطورت في سياقه الثقافي أو الحضاري الخاص، ومن الصعب تطورها في سياقات ثقافية وحضارية أخرى بسماحتها الغربية ذاتها"⁽³⁾.

وما زال البازعي يصدر عن قناعة لا تتزعج في الكتاب كله أن للغرب خصوصيته التي تنطلق من فلسفة خاصة، وثقافة خاصة بالغرب ذاته، قد لا تصلح في نقلها الحربي في بيئة أخرى.

ومن ممثلي هذا التيار الوارد ذكرهم في كتاب البازعي: رشاد رشدي، زكي نجيب محمود، علي الراعي، محمود الربيعي من مصر، وجبرا إبراهيم جبر الناقد والكاتب الفلسطيني⁽⁴⁾.

وتوقف البازعي عند رشاد رشدي، وزكي نجيب محمود، وجبرا إبراهيم جبرا، أما غير هؤلاء فكانت وقفة البازعي معهم مجرد إشارة سريعة.

وسوف أعرض باختصار لرؤية البازعي للنقد الشكلاي لدى رشاد رشدي، وجبرا إبراهيم جبرا، وأرجئ تجربة زكي نجيب محمود لمبحث لاحق، ليمثل الثقافة العربية كمرجع معرفي.

(3) العالم، محمود أمين، عبد العظيم أنيس، في الثقافة المصرية، (دار الفكر الجديد، بيروت، ط1، 1955م)، ص28.

(4) انظر: عباد، شكري، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993م)، ص27.

(1) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص148.

(2) رشاد رشدي كاتب مسرحي مصري 1912 (1983م-).

جبرا إبراهيم جبرا (1920-1994م) هو مؤلف ورسام، وناقد تشكيلي، فلسطيني.

علي الراعي (1920 - 1999م) ناقد أدبي مصري.

زكي نجيب محمود (1905 - 1993م)، فيلسوف وكاتب وأكاديمي وأستاذ فلسفة مصري.

ورشاد رشدي أستاذ الأدب الإنجليزي في الجامعات المصرية، قد تأثر بإليوت في أثناء دراسته في الغرب، وناقش رشدي العديد من قضايا النقد الشكلاني في كتابه "مقالات في النقد الأدبي".

ومن ضمن ما عرّفه به من مبادئ الشكلانية مفهوم "المعادل الموضوعي"⁽¹⁾ مبررًا النقد التاريخي لهذا المفهوم لدى عدد من النقاد والمفكرين مثل ت. س. إليوت، وغيره مما تبنا ذلك المفهوم، وإن لم يُنسب إليهم عادة⁽²⁾. ويقوم رشاد رشدي بتغيير المفاهيم التقليدية، ويحملها بدلالات جديدة في كتابه "النقد والنقد الأدبي"، وينطلق رشدي في كتابه من الانبهار بما وصل إليه نقاد الغرب⁽³⁾.

وإن كان رشاد رشدي تأثر في نقده الشكلاني بإليوت، فإن الناقد الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا، تأثر بـ فرانك ريموند ليفيز⁽⁴⁾، ولم يكن نقد جبرا خالصًا للنقد الشكلاني، بل نجد عنده "التداخل المنهجي بين الشكلاني والنفساني في الأسطوري في أوائل التسعينيات من القرن الماضي"⁽⁵⁾.

وقد خلص البازعي في حديثه عن تجربة جبرا إلى أن هناك تضاربًا في وجهات نظر جبرا "من شكلانية تفصل عن صاحبه، وذاتية أو سيرية تركز حضور المبدع في النص"⁽⁶⁾.

وتناقض جبرا حداً بالبازعي إلى أن يخلص إلى قضية عامة، وهي سمات تشمل قطاعًا واسعًا من النقد العربي الحديث، سمات يبرز من بينها التضارب في الآراء والتوجهات المنهجية حتى لكأنها إحدى خصائص ذلك النقد وطريقة التفكير، وكان ذلك التضارب في الآراء والتوجهات النقدية عند الناقد الواحد سواء كان عند الجيل السابق لجبرا كطه حسين والعقاد، أم الجيل اللاحق الذي ينتمي إليه الناقد الفلسطيني كمحمود أمين العالم ولويس عوض⁽⁷⁾.

ولم يشر البازعي إلى المذهب الذي تبناه رشاد رشدي من خلال اتباعه المنهج الشكلاني، في الواقع رشدي تنبني مذهب "الفن للفن"، وتبني هذا المذهب جعل رشاد مع كوكبة من تلاميذه يثير معركة أدبية نقدية، وقد تصدّى له كبار النقاد في مقدمتهم: محمد مندور، ولويس عوض، وعبد القادر القط، وأنور المعداوي، وتبني رشاد رشدي وتلاميذه مذهب "الفن للفن"، في مقابل مذهب "الفن للحياة"

(3) المعادل الموضوعي: هو أن يعتمد الأديب للتمييز عن شيء بشيء آخر، ويُعرف ذلك من منطوق النص العام، أي إنشاء جسم موضوعي أو خلق محدد، أو موقف أو سلسلة من الأحداث، تعادل الوجدان المعين الذي يُراد التعبير عنه، حتى إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية، تحقق الوجدان المطلوب منه، ينظر: رشدي، رشاد، مقالات في النقد الأدبي، (دار الجيل، القاهرة، 1962م)، ص141.

(4) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص150.

(5) انظر: المصدر السابق، ص150.

(1) فرانك ريموند ليفيز F. R. Leavis (1895 – 1978م) هو ناقد أدبي بريطاني عاش في أوائل القرن العشرين ومنتصفه. عمل

في معظم حياته المهنية بالتدريس في كلية داوونينغ في جامعة كامبريدج ثم في جامعة يورك (إنجلترا).

(2) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص152.

(3) المصدر السابق، ص154.

(4) انظر: المصدر السابق، ص154.

بقيادة محمد مندور وغيره من كبار النقاد، وقد رفض مذهب رشاد رشدي أيضاً لويس عوض، ووقف بجانبه عز الدين إسماعيل، ومجدي وهبة، وجابر عصفور، وسامية أسعد⁽¹⁾.

ولم يبرر البازعي أسباب اتجاه جبرا إلى الغرب سوى تأثره بـ "ف. ر. ليفيز"، لكن جبرا لم يَرَ التوازن الثقافي إلا أداة تتشكل لصالح الحاكم وحلفائه، وليس لصالح إعادة تشكيل للعقلية العربية؛ لتلائم تطور العصر السريعة والقاسية على سواء. والطرح الحدي عن جبرا هو طرح الهامش في مواجهة المركز، طرح إلغاء العلاقات الهرمية، والثنائية التي طرحها التيار المركزي للأدب العربي في تلك الفترة⁽²⁾.

وهذا ربما يفسر التناقض الذي ذكره البازعي، فجبرا يعيش حالة من القلق، والغربة، والاعتزاب النفسي، فالتوازن الثقافي الذي لصالح الحاكم يختلف لدى جبرا، فالحاكم ما هو إلا المحتل لوطنه فلسطين، والهامش ما هو إلا الشعب الفلسطيني في مقابل المركز المحتل، فهو يبغى العبور إلى تعميق جذور الفلسطيني عن طريق أدب يُعنى بالقلق.

وبما أن الأساطير جزء من التراث العربي المتوارث عبر الأجيال حيث "تأتي قيمة دراسة الأساطير في تراثنا القديم باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من تراثنا، وهي الجانب الذي لم يحظ بأدنى قدر من الاهتمام، إزاء صدور الحكم المسبق عليه باللامعقول الذي ينبغي شطبه من تاريخنا"⁽³⁾ وعليه لم يغفل البازعي من ذكر نماذج نقدية عربية موظفة المنهج الأسطوري النابع من التراث العربي في الثقافة مع الغرب هو الناقد محي الدين صبحي وقد اتضح اهتمام صبحي بهذا المنهج في كتابيه الرؤيا في شعر البياتي، يقول صبحي "إن هذا المنهج هو الوحيد الذي يكفل دراسة الأدب العربي على أساس علمي، ويخرج منه بنتائج عينية متسلسلة، ويلغي الاضطراب والانتقاع في فهم تواليها، ويظهر أن الوحدة الوجدانية في اللاوعي الجمعي للأمة العربية أعمق وأوثق من كل الافتراضات الخطائية لأشد القوميين تطرفاً"⁽⁴⁾.

ويرى البازعي أن كلام صبحي مجرد كلام نظري عام لا يوحي بأي نوع من التقييد، والمشكلة تكمن في تطبيق منهجه ويبرر البازعي ذلك عبر فهم صبحي لمنهجه في كتابه "الشعر وطقوس الحضارة" الذي جاء بعد كتابة كتابه عن البياتي بعشرة أعوام فيتضح مدى التشويش وعدم القدرة على تطبيقه، حيث حاول صبحي توظيف منهجه على فرضية أن حضور الأنماط التراثية بأشكالها المختلفة هو حضور حتمي يرتبط بما اختزلته الذاكرة في العقل⁽⁵⁾.

(5) انظر: دواس، حسين، "مؤثرات ارتحال النظرية النقدية الجديدة إلى الوطن العربي"، مجلة (لغة- كلام) مخبر اللغة والتواصل، جامعة غليزان، الجزائر، مج9، ع2، (2023م)، ص178-177.

(6) انظر: بواردي، باسيلوس، "جبرا إبراهيم جبرا بائع القلق في مجتمعات الطاعة والرقابة"، زمان الثقافية الإلكترونية، نكتب لفلسطين، (2021/1/24م).

(1) القمني، سيد، الأسطورة والتراث، ط3، (المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، 1999م)، ص23.

(2) صبحي، محي الدين، الرؤيا في شعر البياتي، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م)، ص12.

(3) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص168.

ونجد أن صبحي في دراسته لشعر الشاعر المغربي أحمد المجاطي توقف قليلاً عند استدعاء الشاعر لنماذج تراثية حين يستعيد الشاعر شخصيات ومواقف مرتبطة بالبارودي والمنتبي، حيث يتعلق البارودي بأحمد عرابي، والمنتبي بسيف الدولة ليستنتج من ذلك التلمص أن هذا الاستدعاء إنما هو حيلة شعرية بل هو نموذج كامن في شخصية كل شاعر قومي يشعر بمسؤوليته تجاه أمته⁽¹⁾.

ثم يعلق البازعي على ذلك بقوله: "نظن محاولات صبحي محكومة بفهم مبتسر وجزئي أو بلا مبالاة بالتكوين الكلي للمناهج والنظريات الموظفة، مع الافتقار في الوقت نفسه إلى تكوين نظري فلسفي يبرر ما يلحق بتلك المناهج والنظريات من تغيير واجتراء، مما يجعل هذه المحاولات ضرباً من الخلط الذي لا يثري الرؤية النقدية."⁽²⁾.

وبعد أن انتهى البازعي من تقييم تجربة صبحي في النقد الأسطوري أثار قضيتين هما عدم حضور المنهج الأسطوري بكثافة في النقد العربي، وغياب الجانب التطبيقي، يقول: "في النقد العربي الحديث لا نجد حضوراً مكثفاً للنقد الأسطوري يشبه النقد الشكلاني أو الماركسي، فهو حضور في مجله جزئي وتعريفي أكثر من كونه تطبيقياً"⁽³⁾.

والواقع يخالف ما ذهب إليه البازعي سواء من ناحية حضور النقد الأسطوري، أم الجانب التطبيقي، بل إن حضور النقد الأسطوري ربما فاق النقد الشكلاني في النقد العربي سواء في جانبه التنظيري أم التطبيقي، وسوف أدلل على وجهة نظري.

أما القضية الأولى، فسوف أذكر قائمة بالكتب التي اتخذت النقد الأسطوري منهجاً على سبيل التمثيل لا الحصر، هي:

- أسطورة الموت والانبعاث في الشعر الحديث، ريتا عوض، 1978.
 - الأساطير دراسة حضارية مقارنة، أحمد كمال زكي، 1979.
 - الصورة الفنية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، علي البطل، 1981.
 - الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن 1986.
 - الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، مصطفى عبد الشافي الشورى، 1986.
- وقد خصصت مجلة فصول المصرية عددها الثالث 1981 لبحوث تناولت المنهج الأسطوري للعدد كبير من النقاد، ومن أبرزهم رائدان من رواد المنهج الأسطوري في جامعة عين شمس المصرية، هما أحمد كمال زكي، وإبراهيم عبد الرحمن، وبحث أحمد كمال زكي عنوانه: التفسير الأسطوري للشعر الحديث، وبحث إبراهيم عبد الرحمن عنوان: التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي.

(4) انظر: المصدر السابق، ص 170.

(1) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 11-170.

(2) المصدر السابق، ص 164.

وهناك مجموعة من الكتب اعتمدت النقد الأسطوري في بعض فصولها:

- درس عبد الله الطيب المجذوب النسيب دراسة أسطورية في كتابه المرشد لفهم أشعار العرب، 1979.

- وفسر عفت الشرقاوي الطلل في الشعر الجاهلي تفسيراً أسطورياً في كتابه دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي 1979.

- وخصص وهب أحمد رومية الفصل الثاني للنقد الأسطوري من كتابه شعرنا القديم والنقد الحديث، 1996.

- واعتمد عاطف أحمد الدرايسة على المنهج الأسطوري في الفصل الثالث من كتابه النص الشعري في ضوء نظرية التأويل، 2004.

- والفصل الثالث أيضاً خصص للنقد الأسطوري من كتاب محمد بلوحي، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقارنة الشعر الجاهلي 2004⁽¹⁾.

والجانب التطبيقي للنقد الأسطوري يفوق الحصر، وهو جانب يتسم بالتحليل النقدي الجاد والمتميز، وسوف أورد بعض النماذج التي تعضد وجهة نظري.

نرى تفسيراً أسطورياً لمقطع الظعن عند أحمد كمال زكي حيث يقول: "لماذا صورت رحلة الظعن بأزهى حللها وكامل زينتها مع أن ذلك يجري في ذكرى الطلل، والطلل يفتن بأحزان لأنه فراق، فهل ترى يسعد شاعر وهو يفارق صاحبتة؟ لا بد أن يكون وراء تلك الأبهة شيء آخر باعتقاده. فإذا دققنا النظر نعرف أن هذه المرأة هي الشمس نفسها، وأن رحلتها رحلة إلى عودة. إن الظعن الملون البهيج هو الشمس نفسها عند طلوعها في الصباح، وفي المساء تغيب في مثل هذا المهرجان الجميل، لأن غيابها يعني أنها ستعود. ومن ثم لا أسى ولا فجيعة، ومن ثم أيضاً تبدو المرأة التي تشبه الشمس فاتنة ضاحكة لأن رحلتها رحلة أمل وليست رحلة يأس"⁽²⁾.

أما مقطع الفرس في الشعر الجاهلي فقد فسره مصطفى عبد الشافي الشورى تفسيراً أسطورياً، فيقول: "ويبدو أن الحديث عن الخيل والإطالة فيه لم يكن محض صدفة؛ لأن في رموز الحيوانات عند العرب الأقدمين نجد أن الحصان كما هو عند سائر الساميين وغيرهم يلعب دور حيوان الشمس المقدس لذلك ينوب عن إلهة الشمس في بلاد العرب الجنوبية"⁽³⁾.

(1) انظر: سلامة، الربيعي، "المنهج الأسطوري بين النظرية والتطبيق"، مجلة الآداب، ع 14، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (2014م)، ص 13، 35. وينظر: عطا الله، محمد عبد الرحمن، شروح معلقة امرئ القيس دراسة تحليلية نقدية، ط 1 (مكتبة

الآداب، القاهرة، 2019م)، ص 275-279.

(2) زكي، أحمد كمال، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، (دار العودة، بيروت، 1979م)، ص 83، 84.

(3) الشورى، مصطفى عبد الشافي، الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، (دار المعارف، القاهرة، 1986م)، ص 178.

ويتضح مما سبق أن النقد الأسطوري حضر بكثافة في المشهد النقدي العربي، وكذلك كان للجانب التطبيقي حضوره البارز في الشعر القديم، أكثر منه في الشعر الحديث، سواء على مستوى الغرض الشعري، أم على مستوى الصورة الفنية، والأمثلة على الجانب التطبيقي يصعب حصرها.

المطلب الثالث: ثقافة الاختلاف العربي والسعي إلى التأصيل

يؤمن البازعي بثقافة الاختلاف التي نبعت إثر العلاقات التي قامت بين الثقافة العربية، والغربية، ويعرض نموذجًا للتأصيل.

وهذا النموذج تمثل في قول البازعي "الناقد الذي سعى إلى تأسيس نظرية نقدية عربية ضمن محاولته دمج الأسلوبية القادمة من الغرب في البلاغة العربية القديمة"⁽¹⁾.

ومن ثم؛ فإنّ البازعي يؤمن بوجود تيار يسعى إلى التأصيل في الثقافة العربية، والمحافظة على الهوية، ويسعى النموذج التأصيلي إلى الخروج بنظرية متماسكة، أما النموذج المتمرد؛ فيجد صعوبة في الخروج بتلك النظرية، ومن الكتب التي ذكرها البازعي في هذا المجال: كتاب مدخل إلى علم الأسلوب، واللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، ويستند البازعي في عرض تلك النظريات إلى نموذج عربيّ هو شكري عياد، ويؤكد البازعي فكرة عياد عن التأصيل، وما نتج عنها من دلالات أخرى: كالتحيز، والاختلاف الحضاريّ.

تعود فكرة عياد للتأصيل إلى مقالة، تحمل المفردة نفسها ضمن كتاب الأدب في عالم متغير بعد مقالة، سبقتها بعنوان (أدبنا بين التغير والاستمرار)⁽²⁾.

ويقصد عياد بمفردة التأصيل "أن يجعل للشيء الجديد أصل، أو يناط بأصل، أو يرد إلى أصل"⁽³⁾. فيما يعرض عياد أنواع النقاد؛ إذ صنّفهم إلى نوعين:

الفريق الأول	الفريق الثاني
يرى أن الحضارة الغربية هي صاحبة القيمة.	ينكر هذا الفريق معنى القيمة في دراسة الحضارة.
يرى أن الحضارة الغربية هي المقياس الذي يُنسب إليه التحضر.	—
يتبنى مفهوم التكيف والتمثيل.	يتبنى المفهوم الوظيفي في الأنثروبولوجيا.

(1) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص244-245.

(2) انظر: المصدر السابق، ص252.

(3) المصدر السابق، ص252.

ولذا؛ فإن عياد حسب رأي البازعي يركّز على "دلالات التأصيل المتمثلة بنقد الثقافة الواردة، واستبدال معطيات تلك الثقافة بمعطيات نابعة من قيم حضارية ذاتية، مما يجعل التأصيل يتحدد بوصفه عملية إنتاج حضاري تنتقد وتقوم، أو هي عملية إنتاج حضاري"⁽¹⁾.

ومما سبق؛ يتمحور مفهوم التأصيل عند عياد في ثلاثة محاور، هي:

- 1- إدراكه لأهمية الموروث الحضاري والثقافي، بوصفه قاعدة، وأصلاً، يمكن العودة إليه في تأصيل الثقافة العربية الحديثة، والأدب والنقد.
- 2- إيمانه بضرورة انبعاث نشاطات الحياة كلها، وكون الأدب جزءاً من هذه الحياة، وهو أدب صادر عن الواقع؛ لتصوير الهموم والانتصارات؛ حتى تتمكن الأمة من ترسيخ شخصيتها في هذا العصر.
- 3- يؤمن عياد أنّ الانفصال عن الغرب هو جهل، وضعف، وانتكاس؛ إذ لا بد للأمم أن تتلاقى؛ فتأخذ، وتعطي، لكن دون التفريط بموروثها الأدبي، والثقافي.
- 4- لا يعني (الآخر) عند عياد الغرب في حضارته، وثقافته، ومدنيته المتقدمة، بل يعني الأمم في الغرب، والشرق كلها⁽²⁾.

ومن هنا؛ فإنّ نظرية شكري عياد يمكن أن يُطلق عليها النظرة الوسطية التي أبرز من خلالها أهمية الموروث، والمحافظة عليه، وعدم الذوبان في الآخر (الغرب)، وبين الانفتاح المعتدل على الغرب؛ من أجل الإفادة، والاستفادة من الثقافات الغربية في إطار محدود، يُحدّد بمدى حفاظه على التراث العربي الإسلامي، والهوية الثقافية للأدب العربي، وقد دعا عياد "إلى التجديد والانفتاح مع تمسك واضح بقيم ومبادئ تقربه تارة من هذا الاتجاه لتبعده تارة أخرى نحو اتجاه آخر، وهو في هذا الاتجاه يتعد بشكل واضح عن المسارات الليبرالية الحداثية أو التنويرية، والمسارات التي لا ترى تكوين الحضارة العربية أو اتجاهها من الزاوية التي يراها عياد"⁽³⁾.

ولم يلفت البازعي النظر إلى الأسباب التي دفعت شكري عياد إلى الانفتاح على الغرب دون الذوبان فيه، بل الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، ومن يرجع إلى كتب عياد يتبين أنّ أهمّ أسباب اتجاهه هذه الوجهة؛ تأثره بأستاذه أمين الخولي، يقول عياد أثناء تعليقه على كتاب الخولي (فنّ القول): "وقد صحبنا الشيخ الجليل أكثر من ربع قرن... وقد بنى كتابه على المقارنة بين البلاغة العربية التقليدية، وبلاغة المحدثين التي سموها علم الأسلوب... واعتمد في رسم صورة البلاغة العربية التقليدية على "شروح

(1) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 253.

(2) انظر: أبو شندي، عصام حسين إسماعيل، "نزع التأصيل في الفكر النقدي عند الدكتور شكري عياد"، (رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، الجمهورية العربية السورية، 2010م)، ص 36.

(3) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 257.

التلخيص"، إذ كانت هذه الشروح هي عمدة الدراسين في معاهد اللغة العربية التقليدية، أما بلاغة المحدثين؛ فقد اعتمد فيها على كتاب مؤلف إيطالي اسمه (الباريني) (1).

ويقول -أيضاً- عن أستاذه أمين الخولي (2): "بدلاً من أن يضع إحدى قدميه على أرض الثقافة المصرية، والأخرى على أرض الثقافة الغربية، آثر أن يثبت قدميه في أرض بلاده، ويمد عينيه إلى ما في الضفة الأخرى، فإن أعجبيه شيء أخذ ما يريد ويحتاج" (3).

ومما لا شك فيه؛ أنه تأثر بأستاذه أمين الخولي، ولم يستغن عياد مثل أستاذه عن الغرب، لكن التراث كان من أهم العوامل الرئيسة لدى عياد للتأصيل؛ فجعله نسيجاً فريداً وحده، وكان محل إعجاب البازعي.

المبحث الثاني: قراءات البازعي للخطاب النقديّ الحدائّي

المطلب الأول: قراءة البازعي للنقد النبويّ:

تعدّ البنيوية من أكثر المناهج النقدية رواجاً في النقد الأدبيّ العربيّ المعاصر، وقد أخضعه الباحثون للعديد من دراساتهم في شتى مجالات الأدب: الشعرية والنثرية، وقد بنى البازعي رؤيته النقدية للمنهج النبوي من خلال اعتماده على دراستين من المغرب العربيّ، هما: دراسة محمد برادة حول محمد مندور، ودراسة محمد بنيس حول الشعر المغربيّ المعاصر التي أثرت في نظرتة النقدية للمنهج النبويّ؛ إذ قامت نظرتة النقدية على كثافة هذا المنهج في المغرب العربيّ؛ إذ ربط البازعي تلك الكثافة في المغرب بالفلسفة، وبالثقافة؛ انطلاقاً من تأثير المغرب العربيّ بالثقافة الفرنسية، فيما سوّغ للمغرب أنها "شهدت ازدهاراً واضحاً للنقد الأدبي، كما للفكر الفلسفي، وكان الاهتمام بالبنيوية التكوينية من الظواهر البارزة في ذلك الازدهار، وأنه لم يترافق مع ذلك القدر الكبير من الخطابية والأيدولوجيا التي رافق كثيراً من النماذج المشرقية" (4).

واستعان البازعي بالعديد من الدراسات المغربية، منها: نجيب العوفي، محمد برادة، حميد حميداني (5)، ومن أهم الدراسات التي تناولت المنهج النبويّ التكويني: دراسة محمد برادة؛ لأن الأدب العربيّ اهتم بهذا المنهج أكثر من الأدب الغربيّ، فيما يرى البازعي أنّ آراء العوفي قائمة على التخلص من المنهج النبويّ من خلال تبنيه للمنهج الجدليّ.

(1) عياد، شكري، اللغة والإبداع، (نشر أصدقاء الكتاب، القاهرة، 1988م)، ص 26.

(2) أمين أنور الخولي (1895 - 1966م)، هو أديب مصري من كبار حماة اللغة العربية.

(3) عياد، شكري، الرؤيا المقيدة دراسات في التفسير الحضاري للأدب، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978م)، ص 166.

(4) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 206.

(5) نجيب العوفي (1948م -)، كاتب، وناقد مغربيّ.

محمد برادة (1938م -) روائي، وناقد مغربيّ، يكتب القصة والرواية، ويكتب المقالة الأدبية، والبحث النقديّ.

حميد حميداني (1950م -) هو ناقد، وأكاديمي، وقاصّ، وروائيّ مغربيّ.

وقد قامت رؤية العوفي على انتقاد النبوية الشكلانية؛ "عجزها عن السيطرة على النص والواقع معًا سيطرة فكرية تطال وتكتنه جوهر النص وجوهر الواقع في آن واحد، باعتبار العلائق العضوية بين الطرفين"⁽¹⁾، فوجد أنّ العوفي لا يتبنّى النبوية التكوينية تبنّيًا صريحًا، وواضحًا، وإنما يسير في الطريق الذي سار فيه غولدمان صاحب المنهج البنيوي التكويني، ويرى البازعي أنّ أهمية تجربة العوفي هو التأكيد على انتشار النبوية التكوينية بالاتفاق مع المنهج الماركسي؛ فجعلها تتصلح مع النبوية في شكلها التكويني، وتكتسب تجربة العوفي أهميتها عبر كشفها عن الصدق مع النفس وسط الإساءة إلى العديد من أنماط المثاقفة النقدية المشرقية⁽²⁾.

ومن المواقف النقدية التي نشرها البازعي عن جذور البنائية: ما جاء على لسان فؤاد زكريا حول الجذور الفلسفية للبنائية أنها "فكر فلسفي يعود بجذوره إلى الأنساق القبلية في الفلسفة الكانطية، ويبدو في تمظهرات معاصرة عند فلاسفة معاصرة عند فلاسفة مثل فوكو والتوسير وأنثروبولوجيين مثل ليفي-ستروس"⁽³⁾.

أما شكري عياد؛ فقد جمع بين موقف فؤاد زكريا، وبين ربط النبوية بما سبقها من توجهات، خاصة النقد الجديد في أمريكا، وما لحظه من تناقضات، تنطوي عليها، ويعدّ عياد من المبكرين الذين تناولوا النبوية من خلال اعتماده على المصادر الغربية، منها: مجموعة من المقالات، نُشرت تحت عنوان الجدل البنيوي، ومنها: مقالات لرولان بارت، وجاك ديريدا⁽⁴⁾ ومشروع ديريدا الفكري "ينطلق من التوجه الفلسفي غير أنه استثمر في مجال النقد الأدبي"⁽⁵⁾.

ومن اللافت للنظر أن البازعي قدّم نماذج مغربية للنبوية، وهذا يدلّ على انفتاح بلاد المغرب العربيّ (المغرب- الجزائر- تونس) على الثقافة الغربية، أو بالأحرى الفرنسية، وهذا من تأثير الاستعمار الفرنسيّ للمغرب العربيّ، فهم يجيدون اللغة الفرنسية، وفتحت فرنسا لهم أبوابها للدراسة والمثاقفة؛ فقد تصدّر المغاربة نقل الكتب الفرنسية في الخمسين عامًا الماضية.

المطلب الثاني: قراءة البازعيّ للنقد التقويضيّ:

توقّف البازعي عند العديد من المصطلحات النقدية الوافدة من الغرب التي عبرت النقد الأدبي العربي عبر الترجمة والتعريب ومنها: مصطلح التقويضية، وقبل أن يشرع في شرحه كان لا بد أن يمرّ على

(3) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 207.

(4) انظر: المصدر السابق، ص 208.

(1) انظر: زكريا، فؤاد، الجذور الفلسفية للبنائية، (مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2022م)، ص 9-11.

(2) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 176.

(3) زغودة، إسماعيل، "جاك ديريدا بين الفلسفة والنقد الأدبي، من النبوية إلى التقويضية"، مجلة أمارات، مج 4، ع 1، جامعة حسينية بن

بوعلي، الشلف، الجزائر، (2020م)، ص 114.

مصطلح ديكونستركشن Deconstruction الذي نُقل إلى العربية بمعنى التقويض، أو التفكيك، ويقدم البازعي الفرق بين المصطلحين ما بين الغرب والعرب مستعيناً برأي طه عبد الرحمن؛ إذ يقول: "إن المعنى الذي يتبادر إلى الذهن عند تلقيه أي مصطلح تفكيك هو التفصيل أو التلخيص، بخلاف المقابل الأجنبي الذي يفيد معنى التقويض أو التهديم"⁽¹⁾.

والحقّ أنّ التدمير -هنا- يعني تقبّل قراءة النصّ من خلال سيطرة نمط دلاليّ واحد عليه مع تدمير بقية الأنماط الدلالية الأخرى، ويقدم البازعي لأجل ذلك العديد من آراء النقاد العرب، منهم: قراءة عبد الله الغدامي في كتابه الخطيئة والتكفير، وينتقد البازعي مفهوم الغدامي لمصطلح الديكونستركشن الذي أورده على غلاف كتابه، وكشف البازعي بذلك عن مشكلتين، هما: "الهدف الأخلاقي أو الأيديولوجي وراء استعمال المصطلح كتقنية قرائية ويعني البازعي أن المصطلح بريء ولا يحمل إلا الخير للأدب ودارسيه حين تخضع للتعريب ومن هنا تأتي أهمية المعرب في إظهار مسؤوليته الثقافية، وكذلك المشكلة القائمة على فهم المصطلح وفلسفته القائمة"⁽²⁾.

وقدم البازعي نقدًا آخر للغدامي متمثلاً بوضعه مجموعة من المناهج المتداخلة دون وضع مسوّغ واضح لذلك الخلط، ووظّف الغداميّ المصطلحات توظيفاً خطأ، وهو ما يعني فهم الغدامي الخطأ لمعنى التقويض؛ لكونه ألغى أهمّ أسس المنهج التقويضيّ القائمة على الكشف عن تناقضات النصّ والمسكوت عنه، وقد امتثل في ذلك لآراء بارت، لكن آراء بارت لم تقم على إعادة بناء النصّ، إنّما تبه إلى خصوصية النقد الغربي، وقال البازعي عن الغدامي إنه: "يرواح في منطقة بين النقد الانطباعي التقليدي من ناحية، والبنوية من ناحية ثانية، والنقد الأسطوري من ناحية ثالثة"⁽³⁾.

ومن الواضح أن البازعي علّق -أيضاً- على طريقة الغدامي في عرض المنهج، وأنها طريقة، اتّسمت بالطرافة، وفهمه للمنهج يعدّ فهمًا سريعًا، يسعى من خلاله إلى تفكيك النصّ؛ من أجل إعادة بنائه مرة أخرى، وليس قائمًا على التفكيك القائم على الكشف عن متناقضات النصّ الداخلية الذي يؤدي إلى فهم عشوائي غير دقيق لهذه المناهج، ولدورها في الثقافة المحلية.

فيما أدرج البازعي رأيًا موفّقًا لترجمة المصطلح متمثلاً برأي محمد عناني؛ إذ إنّهُ وُفّق في الترجمة؛ إذ قال فيه إن التفكيك عنده: "يعني فك الارتباط، أو حتى تفكيك الارتباطات المفترضة بين اللغة وكل ما يقع خارجها، أي إنكار قدرة اللغة على أن تحيلنا إلى أي شيء أو إلى أي ظاهرة إحالة موثوقًا بها"⁽⁴⁾.

(1) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص224.

(2) انظر: المصدر السابق، ص226.

(3) المصدر السابق، ص229.

(4) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص231.

ويختصر البازعي أنّ ترجمة أيّ منتج ثقافي دون النظر إلى ماهيّته؛ إنما يتطلب الاندماج في هذه الثقافة، ونجد أنه -حقاً- أصاب في رأيه هذا؛ إذ يعني هذا الاندماج التداخل في الثقافات الأخرى؛ للكشف عن تفاصيل الثقافة المنوي الترجمة عنها، متمثلاً ذلك بالجوانب الفلسفية والأيدولوجية والاجتماعية؛ حتى تتحقق عملية الترجمة تحقّقاً ناجحاً، ولا يمكن أن تتمّ إلا من خلال الاطلاع على تفاصيل تلك الثقافة، وذلك المجتمع؛ من أجل الوقوف على تفاصيل هذه الثقافة، والتغلغل فيها، ومن هنا؛ يأتي الدور الرئيس للترجمة، ومن أشكال الترجمة التي استدل عليها البازعي: "اختيار الكتاب لبعض المفاهيم الشائعة في الدراسات الأدبية للتعريف بها بمقالات لا تتجاوز التعريف المبسط السريع جاء نتيجة استسهال البعض لتلك المفردات مثل: الكتابة، البلاغة، الخطاب، التأثير، الأيدولوجيا، والحاجة من ثم إلى التفاصيل في تحليلها لإبراز ما تنطوي عليه من عمق تاريخي حيث تؤثر في قراءتنا، وتستدعي مسائل اجتماعية وسياسية أكبر"⁽¹⁾.

ويسوّغ البازعي هذا التغلغل بترجمة بعض النقاد، وتقليدهم الأعمى، وتطبيق سياسة تمجيد الغرب، والسير على خطاهم دونما فهم، ولا تركيز فيما هو وارد عن هذه البيئة الغربية والثقافة الواردة عنهم، فيقول في هؤلاء: "الملاحظ على كثير من المترجمين والباحثين العرب تغليب قيمتي الصحة والدقة، بعيداً عن المساءلة الناقدة، فيما يُبحث ويُلقى عن الثقافة الغربية إجلالاً واحتراماً لذلك المصدر الذي يبدو وكأنه لا يجوز التصرف فيما يرسل."⁽²⁾؛ ليؤكد البازعي بذلك رفض فكرته الانصهار في الآخر، وعدم الذوبان فيما هو قادم من الغرب، بل لا بد أن تظلّ الثقافة العربية محافظة على نفسها، وعلى هويتها وسط وفود التيارات النقدية الغربية التي تحاول مسح الهوية العربية من خلال بعض النقاد الذين يمجدون الغرب، وثقافة الغرب، وأدب الغرب، وكوّنهم نموذجاً، يُحتذى به، وهذا ما رفضه البازعي، وأكد أن استقبال الآخر لا يعني التبعية الكاملة له، وبالرغم من ذلك إلا أنه يؤيد هذا النقل شريطة أن يتحلّى الناقد المترجم قضية الدقة، والضبط التي تعدّ شرطاً أساسياً في النقل عن الآخر، ويقول في ذلك: "الصحة والدقة تحيل عمليتي الترجمة والتواصل المعرفي إلى عملية نقل تراعي الدقة والضبط، وتحاول أن تكون زجاجاً شفافاً يمرر المعرفة دون أن يؤثر فيها، ويكون ذلك طبعاً نتيجة إعجاب المترجم أو الناقل لتلك المعرفة في مظاهرها الأصلية وشعوره بأنه يخدم العلم عندما لا يتدخل فيما ينقل"⁽³⁾.

(2) المصدر السابق، ص 233.

(3) المصدر السابق، ص 235.

(1) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 235.

وقد ساق البازعي نموذجًا عربيًا لهذا النقل: هو الناقد محمد عناني الذي اتّسمت ترجمته بالشمولية، والعمق مرفقة بالشرح، والتوضيح على الرغم من بعض النقد الذي اكتنف هذه الترجمة عبر تغليبه للشرح على حساب النقل ويبرر عناني ذلك بقوله "رغم حذري وحرصى الشديد على الموضوعية"⁽¹⁾. تلك الموضوعية التي يرى البازعي أنه من المستحيل تحقيقها في العلوم الإنسانية، وهذا ما أحال البازعي إلى المنهج التقويضي لدى ديريدا الذي عارضه صراحة في قوله: "نعم قد نختلف مع ديريدا ونقول إن ثمة علمًا ثابتًا لكن لا بد أن يكون ذلك القول معلنًا في سياق كسياق الحديث عن المنهج الذي ينكر ذلك الثبات لا أن يكون ضمنيًا، وكأنه مما يتوقعه أصحاب المنهج ويؤمنون به"⁽²⁾؛ إذ نادى ديريدا بعبارته الشهيرة (لا يوجد شيء سوى النص)، ويعلّل البازعي استطراده لمصطلح التقويض في كتابه؛ بسبب فرض هذا المصطلح نفسه ثقافيًا، وتأثيره في عطاءات كثيرة، ويعلّل ذلك قائلًا: "التقويض جزء من سياق ثقافي، وهو جزء من إشكالية الميتافيزيقا في الثقافة الغربية ككل والفلسفة بوجه خاص، وله خصوصيته النابعة من خلفية ديريدا الثقافي بوصفه يهوديًا مستخدمًا في مقالاته عبارة حاخام كما تحدثت الأمريكية سوزان هاندلمان في كتابها قتلة موسى"⁽³⁾.

ومما سبق؛ نجد أن رأي البازعي في التقويضية يتمثل في أن هذا المصطلح يدخل في باب المعرفة، وباب التقويم النقدي، وأنه جزء من سياق ثقافي، له خصوصية، وأن انتماء التقويض للسياق يؤدّ إشكاليات فلسفية مطروحة، أهمّها: الميتافيزيقا في الثقافة الغربية عامة، والفلسفة خاصة، ويدعو البازعي إلى موقف حضاريّ مستقلّ، يستطيع الناقد من خلاله أن يتجاوز الثقافات الواردة من خلال تحليلها تحليلًا، يحترم الاختلاف، ويسعى للإفادة منه، وينتقد ما قد تنطوي عليه من مغايرة في السياقات، أو المواقف التي لا تتفق مع الدارس.

المبحث الثالث: مرجعيّات الخطاب النقديّ عند البازعي

المطلب الأول: الثقافة العربية بكونها مرجعًا معرفيًا:

إنّ الهدف الرئيس للbazعي من كتابه إثبات أنّ ثقافتنا العربية هي المرجع المعرفيّ للأمة العربية، فلا يمنع المثاقفة، والانفتاح على الآخر، لكن أخشى ما يخشاه ذوبان الذات العربية في الآخر الغربيّ، ومن ثمّ؛ عرض نماذج للذين استدعوا الآخر، وكان النموذج الأمثل لهم الذي يجب أن يُتخذى، وكانت دعوة إلى الانسلاخ من الثقافة العربية، وكان من أبرز هؤلاء: أحمد ضيف، وطه حسين، ومنهم: من استدعى الآخر؛ ليبين أصول المشروع النقديّ له في تراثنا، مثل: زكي نجيب محمود، وكان للbazعيّ موقف من

(2) عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، (الشركة المصرية العالمية، لوجمان، القاهرة، 1996م)، ص3.

(3) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص237.

(4) المصدر السابق، ص239.

الفريقين، يدعو من خلال موقفه إلى الحفاظ على الهوية العربية، والانطلاق من الثقافة العربية؛ حتى تتميز الشخصية العربية، وتبني حضارتها من داخل ثقافتها، وحضارتها مع الاستفادة من الحضارات السائدة في العالم.

ويبين البازعي وجهة نظره من خلال عرض الفكر النقديّ من مجموعة من المبتعثين العرب إلى العالم الغربي، فبعد مائة عام تقريباً من إرسال مصر لرفاعة الطهطاوي ورفاقه، أُبتعث أول طالب عربيّ مصريّ متخصص في الدراسات الأدبية عام 1912، هو أحمد ضيف، وبعد عودته من أوربا؛ فتح باب النقد المنهجيّ أول مرة في أدبنا الحديث⁽¹⁾.

وقد ألف ضيف كتباً، تدعو إلى إعادة النظر في الدراسات الأدبية العربية، والإفادة من الفكر الأدبيّ الأوربيّ؛ متأثراً بالفرنسيّ لانسون، ويوضح البازعيّ علاقة الغريّ الوافد بالموروث العربيّ الأصيل في فكر أحمد ضيف، فيقول: "ففي أول محاضراته في الجامعة المصرية التي عاد إليها كأول عربي، يحمل الدكتوراه من السوربون، أعلن أحمد ضيف ضرورة التخلص من الفكرة التي كانت وما تزال تسيطر على الدارسين العرب، وهي أن العرب القدامى قد وصلوا إلى ما يمكن الوصول إليه في الفكر البلاغي والنقدي، فكان من الضروري أن يفتح العرب على أساليب النقد الحديث أي الأوربي⁽²⁾.

وكان ضيف لا يدعو إلى الإفادة من الآخر الأوربيّ؛ ليؤسس نظرية عربية في النقد الحديث، بل دعوته وصلت إلى حد الذوبان في الآخر -من وجهة نظر البازعيّ- فكان من "أوائل المؤسسين لفكرة التقابل بين التراث العربي القديم، والثقافة الأوربية الحديثة، ومن خلال كتابات ضيف وأمثاله من النقاد الأكاديميين؛ ترسخت فكرة الارتباط، بل التماهي، بين مفهوم "الحديث"، أو "الغربي" في الثقافة العربية المعاصرة؛ ليغدو "النقد الحديث" مثل "الفكر الحديث"، و"العلم الحديث"، لا يحيل على شيء سوى ما ينتجه الغرب من فكر، ومناهج، ومفاهيم⁽³⁾.

لم يرفض البازعيّ الانفتاح على الآخر الغربيّ، بل هو واحد من المبتعثين العرب الذي انفتح على الثقافة الغربية، لكنّه يهدف إلى الانفتاح الواعي الذي لا يذوب في الآخر، ولا يحافظ على الهوية العربية. وعلى أيّ حال؛ فإنّ لأحمد ضيف الفضل بالتبشير بالمنهج التاريخي الذي تلقاه عن الفرنسيّ جوستاف لانسون الذي كان عدد من المستشرقين يدعون إليه في الجامعة المصرية، وهذا المنهج أثر في جيل من الأكاديميين، رافق (ضيف)، أو تأخر عنه بقليل، ويقف في مقدمتهم طه حسين.

وأحمد ضيف نموذج للانفتاح على الآخر، لكن هذا الانفتاح لا يصل إلى حد الذوبان، كما يرى البازعي، ويمكن أن نتبين ذلك من أحمد ضيف نفسه؛ إذ يقول: "نريد أن تكون لنا آداب تمثل حالتنا

(1) انظر: عياد، شكري، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993م)، ص 86.

(2) البازعيّ، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربيّ الحديث، مصدر سابق، ص 96.

(3) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربيّ الحديث، مصدر سابق، ص 97.

الاجتماعية، وحركتنا الفكرية، والعصر الذي نعيش فيه، تمثل الزارع في حقله، والتاجر في حانوته، والأمير في قصره، والعالم بين تلاميذه وكتبه، والشيخ في أهله، والعابد في صومعته، والشاب في مجونه وغرامه، أي نريد أن تكون لنا شخصية في آدابنا... ولا نريد بذلك أن نحجر اللغة العربية وآدابها؛ لأننا إذا فعلنا ذلك أصبحنا بلا لغة، وبلا أدب"⁽¹⁾.

إذن؛ كلام أحمد ضيف السابق لا يدلّ على انسلاخه من تراثنا ولغتنا، والذوبان في الغرب حسب رؤية البازعي، يقول شكري عياد في تعليقه على النص السابق: "اللغة وتراثها الأدبي هما إذاً جزء من الذات القومية التي تجاهد؛ لكي تخرج من حالة الكمون إلى حالة الظهور، وهذا يفضي أن تكون الطريقة التي يُدرس بها الأدب طريقة نقدية"⁽²⁾.

وربما ما لصق بأحمد ضيف؛ بسبب تشييعه للأدب القصصي، والتمثيلي في زمن، كان وضع القصص والتمثيل، كان وضع الابن الضليل في أسرة الأدب العربي، وكانت نظرة المجتمع للتمثيل نظرة دونية.

وعلى أيّ حال؛ فإنّ (ضيف) كان يرى أنّ الأدب العربي ليس دون الآداب الغربية، وإن كانت له خصائصه المميزة⁽³⁾.

وكما مثلت جهود طه حسين في الجامعة المصرية؛ مثل: أحمد أمين، وأمين الخولي، وأحمد الشايب، وغيرهم؛ نقلة نوعية في تاريخ النقد الأدبي الحديث، وهذه النقطة لا تخلو من جملة من المشكلات، تتمثل في العلاقة المتوترة بالمروروث النقدي، والثقافي من ناحية، والتأثر المنهجي للنقد بمفهومه الأوربي الحديث⁽⁴⁾.

لكنّ البازعي لم يتوقف عند أحد من هؤلاء النقاد سوى طه حسين، ذلك الناقد الذي أثار حوله موجة من الجدل، والاختلاف، وقد خصّه البازعي بمبحث بعنوان: طه حسين والشك الديكاريّ رؤية مقارنة، وتوقف البازعيّ عند كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" الذي صدر في طبعته الأولى سنة 1926.

وعقد البازعي مقارنة بين طه حسين، وبين آدموند هوسلر زعيم المدرسة الظاهرية، وكلاهما يتبنّى مبدأ الشكّ عند ديكارت، إنّ طرح هوسلر رؤيته لديكارت في ظروف بالغة التأزم في أوروبا على المستويين: السياسي، والعسكري؛ إذ إنّ أوروبا قد انتهت من الحرب العالمية الأولى، وقد أراد هوسلر أن "ينقذ أوروبا من أزمته باستعادة اللحظة التاريخية والفكرية التي اتخذ فيها ديكارت خياره العقلاني القادر

(2) ضيف، أحمد، مقدمة لدراسة بلاغة العرب، (مطبعة السفور، القاهرة، 1921م)، ص 173.

(3) عياد، شكري، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993م)، ص 84.

(4) المرجع السابق، ص 87، 88.

(1) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 97.

على إعادة أوربا ذاتها، فدعوته إذا دعوة تراثية سلفية بالمعنى الأساسي للكلمة، دعوة العودة إلى ماضٍ قادر على بعث روح التفوق في أوربا الذي يجعلها "تأورب"، ولا تتأثر "تتهند" (تصير هندية) بهم⁽¹⁾.

وفي حين نرى هوسرل يدعو إلى تأورب أوربا؛ نجد طه حسين يتأثر بالمنهج الديكارتي الذي يقوم على الشك؛ ليصل إلى يقين، بينما طه حسين لا يصل إلى اليقين الديكارتي، بل يصل إلى الشك، فلا يدعو إلى تعرّب الثقافة العربية على غرار التأورب عند هوسرل، لكنه يتخذ الموقف المتفوق لأوروبا؛ منطلقاً للتشكيك في الشعر الجاهلي جملة، وتفصيلاً⁽²⁾.

ويقول طه حسين في هذا الصدد مسوّغاً اتجاهه إلى المنهج الديكارتي: "فنحن كعرب سواء رضينا أم كرهنا، فلا بد أن نتأثر بهذا المنهج في بحثنا العلمي والأدبي، كما تأثر من قبلنا به أهل الغرب، ولا بد أن نصطنعه في نقد آدابنا وتاريخنا، كما اصطنعه الغرب في نقد آدابهم وتاريخهم؛ ذلك لأن عقليتنا قد أخذت منذ عشرات من السنين تتغير وتصبح غربية، أو قل أقرب إلى الغربية منها إلى الشرقية"⁽³⁾.

والواقع أن العقلية العربية لم تصبح غربية كما يدّعي طه حسين، بل توجد فئة قليلة في البلدان العربية -فقط- هي التي ذابت في الغرب، وتخلّت عن هويتها العربية.

ولم يتعرض البازعي لكتاب آخر كان مثاراً للجدل مثل كتاب "في الشعر الجاهلي"، وهو كتاب "مستقبل الثقافة في مصر"، وظهرت فيه -أيضاً- الدعوة إلى الانسلاخ من الثقافة العربية، والاتجاه نحو الحضارة الأوربية بكل ما فيها من محاسن، ومساوئ، ويتجلّى ذلك في قول طه حسين: "أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرّها، وما يُحب وما يُكره، وما يُحمد فيها وما يُعاب"⁽⁴⁾.

إن طه حسين كان يسعى إلى "تشكيك العرب في ماضيهم ومهاجمة إعجابهم الذاتي بتراثهم؛ لكي يشق الطريق لإصلاحات ليبرالية أجنبية الجوهر"⁽⁵⁾.

إنّ مدخل البازعي للنقد الغربي المُعنون بالخصوصية لم يأت به اعتباطاً، بل هو مدخل موظّف توظيفاً واعياً؛ فخصوصية الغرب، وعلمانيته تختلف عن خصوصية العرب، ولذلك؛ فإن السياق الذي انطلق منه هوسرل للتأثر بالمنهج الديكارتي يختلف اختفاً كبيراً عن السياق الذي لجأ إليه طه حسين إلى المنهج نفسه.

(2) المصدر السابق، ص 107.

(3) انظر: المصدر السابق، ص 108.

(4) حسين، طه، في الشعر الجاهلي، ط 1، (دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926م)، ص 45.

(1) حسين، طه، مستقبل الثقافة في مصر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1938م)، ص 43.

(2) العروي، عبد الله، الأيديولوجية العربية المعاصرة، (دار الحقيقة، بيروت، 1970م)، ص 156.

يقول البازعي في هذا الصدد: "إن طه حسين لم يكن يعنيه كثيراً ما كان يشكو منه هوسرل وغيره من تأزم تعيشه أوروبا ما بعد الحرب الأولى"⁽¹⁾.

وكعادة البازعي أنه يجمع بين المتشابهات أثناء الحديث في موضوع معين، فنراه في خلال عرضه لطه حسين، والشك الديكارتي؛ يستدعي الناقد المصري صلاح فضل في نهاية البحث؛ إذ يقول فضل: "نتحدث عن تحول جذري في منظور النقد، فالمرتكزات الفلسفية والمبادئ الغربية؛ عملت متزامنة على إعادة ترتيب مجالنا الأدبي"⁽²⁾.

وأطلق البازعي على تجربة صلاح فضل فوضى الاستقبال، وشبهه بتجربته بتجربة طه حسين؛ إذ يقول: "إننا أمام تبرير آخر للذهاب إلى الغرب، تبرير يستبدل تغريب الذات أو أوربتها بالدخول في عالمية تكتسب هويتها من خلال الغرب، وتنتج عن انفصال العلمي عن الأدبي في النقد الغربي، ولست أدري كيف يمكن تبرير هذا الاستبدال؟ وهل يحلُّ الانفصال المشار إليه بين النقد والأدب مشكلة التداخل الثقافي التغريبي العسير الذي يشير إليه فضل في بداية محاضراته؟"⁽³⁾.

إن قضية الفصل بين الأدبي عن العلمي، وفصل الديني عن السياسي والأخلاقي هي خصوصية الغرب، وعلمته من خصوصيات الغرب، وتبعية بعض المثقفين العرب، أو ما سماه بعض المفكرين التقليدي الأعمى، وهذا هو الداء الذي أصاب جسد الأمة العربية، وكانت مهمة البازعي توصيف المرض، وتقديم سبل العلاج.

ويمثّل زكي نجيب محمود التيار الشكلائي، وقد سعى إلى تأصيل النقد الشكلائي في التراث العربي؛ ليؤكد "أسبقية العرب إلى ذلك، حيث يقول: "فإن يكن سينجارن قد ألحّ في أن تكون عبارة النص الأدبي هي مدار النقد، وأن يكون الحكم على النص الأدبي، هي مدار النقد، وأن يكون الحكم على الأثر الأدبي، قائماً على مقدار أداء العبارة للمعنى المراد لا غير، فقد ألحّ عبد القاهر قبله بتسعة قرون"⁽⁴⁾.

إنّ المثاقفة -هنا- تكشف أنّ الذات أصل للآخر، وأنّ الآخر الغربي امتداد للذات العربي، وهذا الموقف يثير قضية مهمة لدى البازعي الذي يدعو إلى التمسك بالثقافة العربية الأصيلة، والحفاظ على الهوية العربية، وتجلّى موقفه في قوله: "غير ما لم يتوقف عنده المثقف العربي المعاصر، ومثاله هنا زكي نجيب محمود، هو أن اكتشاف أسبقية الجرجاني، لا سيما في نظرية النظم، اعتمد كثيراً على اكتشاف النموذج الغربي الذي يشبهه ويدكر به، ومما يطرح تساؤلاً عن الكيفية التي تُعاد بها قراءة التراث العربي

(3) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص109.

(4) فضل، صلاح، إشكالية المنهج في النقد الحديث، (النادي الأدبي الثقافي بجدة، 1988م)، ص393.

(5) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص113.

(1) محمود، زكي نجيب، قشور ولباب، ط2، (دار الشروق، القاهرة- بيروت، 1981م)، ص98.

الإسلامي، فالنموذج الغربي قادر أحياناً على فتح نوافذ مغلقة في وعينا بذلك التراث، لكن ليس ذلك النموذج قادراً أيضاً بنفس العملية على إغلاق نوافذ أخرى؟ ذلك أن عدم توافر الشبيه، قد يؤدي إلى عدم الالتفات أصلاً، فتغيب إنجازات كبيرة؛ لأنه لا يوجد ما يشبهها لدى الآخر⁽¹⁾.

إنّ المشكلة التي أثارها البازعي تكمن في سعي النقد العربي إلى الآخر الغربي، وجعله النموذج الأمثل الذي يجب أن يُتخذى، وينسى أنّ الغربيّ عندما أراد أن يخرج من عصور ظلامه إبان عصر النهضة؛ اتّجه إلى الفكر اليونانيّ، واستلهمه، ونهض من خلاله، ومما لا شك فيه أن الغربيّ اطلع على التراث العربي الذي وصله إبان نهج التتار للكتب العربية التي نقلها إلى بلاد الغرب، لكن بعض النقاد العرب الذين فُتِنوا بالغرب؛ أداروا ظهورهم للتراث العربي، وكانت وجهتهم أوروبا العلمانية، ولو فعلوا كما فعل النقاد الغربيّون، وانطلقوا من تراثهم؛ لكانت لدينا نظرية نقدية عربية خاصة بنا، ونكون منتجين لثقافتنا، ولسنا مستهلكين لثقافة الآخر.

المطلب الثاني: المرجعية الدينية والناقد الخروجي:

ذكر البازعي في كتابه العديد من الآراء النقدية التي تأرجحت بين قبول الآخر، وبين رفضه، وأحال ذلك للعديد من الأسباب التي جاءت لدى أولئك النقاد، وذكر -أيضاً- نقاد الغرب الذين خرجوا على المرجعية الدينية التي تتمثل في المقدّس، وأبرز المقدّسات عند الغرب الكتاب المقدس، وعند المسلمين القرآن الكريم، فكان الناقد الخروجي المسلم في مشروع البازعي طه حسن.

إنّ التحول العلمانيّ في الثقافة الغربية أدى إلى استقلالية النقد عن الكتاب المقدس؛ كما رأينا عند فراي، وبلوم من قبل، ومن أبرز النقاد الذين أحدثوا تحولاً كبيراً في نقد الكتاب المقدس: الفيلسوف اليهودي سبينوزا في القرن السابع عشر في كتابه "سجن لاهوتي سياسي"، فقد نهض منهجه على انتزاع الكثير من القداسة عن العهدين: القديم، والجديد، وقد لخص نظريته في انتزاع القداسة عن العهدين بقوله: "وهكذا فإننا لا يجب أن نفترض أن كل ما يُقال إن الله قد قاله الله قد قال لأحد في الكتاب المقدس، هو نبوءة أو كشف".

وكان تأثير سبينوزا خطيراً على النقد في العصر الحديث، وهذا ما عبر عنه كريستوفر نورس في كتابه "سبينوزا وأصول النظرية النقدية الحديثة": إنّ سبينوزا أثر في النقد ما قبل البنيوي، والنقد ما بعد البنيوي على حد سواء⁽²⁾، وقد استبق سبينوزا بدعوته التحريرية أشدّ الاتجاهات تحرراً في العصر الحديث⁽³⁾.

وقد خلص البازعي إلى أن استنتاجات سبينوزا أثرت في نورثروب فراي خاصة في أسطورية الكتاب المقدس، مثلما فعل في المبدأ الشكليّ الذي يستنبط النقد الأدبي من مبادئه من النقد الأدبيّ فقط،

(2) البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص158.

(1) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص58.

(2) زكريا، فؤاد، اسبينوزا، ط2، (دار التنوير، بيروت، 1983م)، ص167.

وحلول الأدب محلّ الكتاب النصوص الدينية المقدسة، وامتدّ التأثير -أيضاً- إلى الحركة الرومانسية، وأصولها البروتستانتية إلى كتب وليم ويلك التنبئية، ونزعة وردوث الديمقراطية⁽¹⁾.

ومن هنا؛ فقد نشأت حركة الأديان بمواقفها المتطرفة ضد الأديان؛ فأدّى إلى نشأة حركة نقدية دينية من مجموعة من العلماء الألمان والإنجليز البروتستانتين المختصين في اللغات الشرقية، وحاولت تلك الحركة، والرد على الهجوم المتطرف على الدين بإعادة تفسير الكتاب المقدس؛ لإثبات صبغته الأدبية الأسطورية: كشعر شرقي عبري في المقام الأول، وبدا مؤكداً أن تلك الصبغة، ستحول دون قراءة الكتاب المقدس قراءة حرفية، تجعله -حينئذ- محلّ استهزاء المؤمنين بالعقل، وبصرامته المنهجية العلمية، فبإظهار الشعر البدائي في الكتابات المقدسة للبرانيين؛ أراد أولئك النقاد أن يثبتوا أن تلك الكتابات جديرة باهتمام أهل الذوق، وإعجابهم⁽²⁾.

ومن ثمّ؛ فقد تبلورت حركة النقد المقدس، وهي حركة، تنطلق من النقد الشكلاني، لكنّ البازعيّ يوجّه انتقاداً لهذه الحركة؛ لأنها أرادت أن تحافظ على الكتاب المقدس، لكنّها ضلّت هدفها المنشود، يقول: "نقاد الكتاب المقدس في القرن الثامن عشر أرادوا الحفاظ على كتابهم بتطبيق منهجية دفاعية شكلائية، أدت بشكل أو بآخر إلى تهميش ذلك الكتاب، وإلى إظهار أهم ليسوا أقل علمانية من أعداء الكتاب المقدس من متطري حركة التنوير اللادينيين من أمثال فولتير"⁽³⁾.

ومن عرض البازعي لثنائية الدينيّ، والدينويّ؛ تبين أنّ الدينويّ تفوّق على الدينيّ، وأنّ العلمانية هيمنت على المقدس.

والناقد الخروجيّ العربيّ طه حسين أثار في كتابه "في الشعر الجاهلي" قضايا أدبية، وفكرية، أهمها: الشك في الشعر الجاهلي جملة، ورأى أنه شعر إسلامي، وتعرض -أيضاً- إلى قضايا دينية، وديكارت -الذي تأثر به طه حسين- معروف بتدينه الكاثوليكي، والذي كان هاجساً وراء شكوكه البحث عن اليقين العقلائيّ بوجود الله، وطه حسين لم يختلف عن ديكارت فحسب، بل اختلف -أيضاً- عن هوسرل الذي انطلق من المضمون الفلسفيّ الديكارتيّ⁽⁴⁾.

و"المفكر الذي كان قريباً من بعض طروحات طه حسين هو - كما مر بنا في تتبع خصوصية النقد الغربي - اليهودي الهولندي سبينوزا، المفكر الذي أثار الشكوك حول النصوص الدينية مسألة القداسة،

(3) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 59.

(1) انظر: البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، مصدر سابق، ص 56.

(2) المصدر السابق، ص 57.

(3) انظر: المصدر السابق، ص 111.

وتعرض إثر ذلك لكثير من الاضطهاد، وقد توقف بعض الدراسين الغربيين على تأثير سبينوزا على تطور ما عُرف بالنقد المقدس، فبينوا تأثيره في علمنة النصوص المقدسة أي إلغاء قداستها⁽¹⁾.

وتوقف البازعي عند هذا الحد، ولم يذكر أمثلة من شك طه حسين في النصوص المقدسة، أو القرآنية، وأذكر مثلاً واحداً لإنكاره النصوص القرآنية:

يقول طه حسين: "فقرئش" إذن كانت في هذا العصر ناهضةً نَهضةً ماديةً تجاريةً ونَهضةً دينيةً وثنيةً، وهي بحكم هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد في البلاد العربية وحدةً سياسية وثنيةً مستقلةً تقاوم تدخل الروم والفرس والحبشة ودياناتهم في البلاد العربية. فيكون من المعقول جداً أن تبحث هذه المدينة الجديدة لنفسها عن أصل تاريخيٍّ قديم يتصل بالأصول التاريخية المأجدة التي تتحدث عنها الأساطير، وإذن فليس ما يمنع قريشاً أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم⁽²⁾.

ينكر طه حسين نصاً قطعي الثبوت، لا يحتاج إلى تأويل «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»⁽³⁾.

وقد مررنا بنا - من قبل - شك بعض الغربيين في وجود الله، ولم يعقد البازعي مقارنة بين شك الغربيين في المقدس، وبين شك طه حسين في المقدسات، وترك البازعي تلك المقارنة لفطنة القارئ العربي؛ فإن شك الغربيين ربما يرجع إلى عدم الاطمئنان للكتاب المقدس الذي أصابه التحريف، بينما شك طه حسين ليس في موضعه، فالقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

وكما ذكر البازعي أن سبينوزا تعرض لكثير من الاضطهاد، لم يذكر أن طه حسين قُدِّم للمحاكمة من قبل الأزهر في مصر الذي تقدّم بالبلاغ ضده الشيخ حسن الطالب بالقسم العالي بالأزهر، وتضامن معه العديد من علماء الأزهر على رأسهم شيخ الأزهر نفسه، وكانت التهمة الموجهة لطه حسين الطعن، والتعدّي على الدين الإسلامي في كتاب "في الشعر الجاهلي"، وقضت المحكمة بتبرئة طه حسين من القاضي محمد نور، لكن طه حسين نشر الكتاب سنة 1927م، تحت عنوان "في الأدب الجاهلي"، ونقّحه من كل المسائل التي شك فيها في النصوص المقدسة⁽⁴⁾.

وإن كانت قراءة البازعي لفكر طه حسين، وعلاقته بالغرب نقد النقد؛ فإنه مسبوق في هذا المجال، ولم يشر البازعي إلى الكتب التي تناولت كتاب "في الشعر الجاهلي" بالنقد، والتحليل.

(4) المصدر السابق، ص 11.

(1) حسين، طه، في الشعر الجاهلي، ط 1، (دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926م)، ص 28، 29.

(2) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 127.

(3) انظر: الشريف، أحمد إبراهيم، "تاريخ القضايا الفكرية طه حسين وأزمة كتاب في الشعر الجاهلي"، جريدة اليوم السابع، القاهرة، (الاثنين 21 فبراير 2022م).

والكتاب في حينه "أثار ضجة كبيرة في أوساط العلماء والأدباء، مما حدا بالعديد منهم إلى تصنيف الكتب في الرد عليه، ومن هؤلاء: كتاب محمد فريد وجدي "نقد كتاب في الشعر الجاهلي"، ومحمد لطفي جمعة "نقض كتاب في الشعر الجاهلي"، وكتاب محمد الخضر حسين "محاضرات في بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي"، وكتاب محمد أحمد الغمراوي "النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي"، ومعظم كتاب مصطفى صادق الرافعي تحت راية القرآن"⁽¹⁾. ويمكن تلخيص منهج طه حسين في التشكيك في ثوابت الإسلام، أولها: إثارة الشبه حول الثوابت والمسلمات، وثانيها: الطعن في نبوة الرسول ﷺ، فلم يكن في نظر طه حسين إلا رجلاً عادياً، يطمح للسلطة السياسية والاقتصادية، فلا اصطفاء ولا نبوة، ثالثها: أن القرآن من وضع محمد صلى الله عليه وسلم متأثراً بالبيئة حوله، ورابعها: أن النص القرآني محدود القيمة، محدود الزمان والمكان⁽²⁾. وإن كان قد نَقَح كتابه "في الشعر الجاهلي" من انتهاك المقدس، وبقيت القضايا الأدبية التي تتفق مع خصوصية الغرب في طبعة الكتاب الثانية "في الأدب الجاهلي"، وأبرزها قضية انتحال الشعر الجاهلي.

خاتمة: نتائج البحث:

لقد تمثلت خصوصية الغرب بإزالة المقدس في الحياة، وتحقيق العلمانية؛ ليصبح النص الأدبي لديهم موازياً للنص المقدس، وأما ما يخصّ النبوية الغربية؛ فقد تصدّعت، وانتهى حلمها؛ نتيجة للمادية الكامنة فيها، وتعود الأسباب لانتشارها في المغرب العربيّ هو ارتباطهم، وانفتاحهم على فرنسا، أما المنهج التقويضي؛ فقد وُلِد من رحم هذه المنطقية الغربية، وقد مثل عبد الله الغدامي النظرية التقويضية القائمة على فهم خطأ للمنهج، وخلط بين المناهج. أما البازعيّ فقد رصد العديد من التناقضات، والمشكلات أثناء دراسته لنقد الآخر (الغربي)، وقد قام مشروعه على الحفاظ على الموروث العربيّ، وعدم السماح بذوبانه فيما هو قادم من الغرب؛ لتكتمل بذلك رؤيته القائمة بالتركيز على الجانب القوميّ، والوطنيّ؛ من أجل الحفاظ على الهوية العربية. وقد استدلّ البازعي على العديد من النماذج العربية التي حافظت على التراث العربيّ، منها: محمد مندور، وشكري عياد الذي كان يراه البازعي هو أول من أصّل الثقافة العربية في مشروعه النقدي، ولم تذب تجربته في الآخر الغربي؛ فطلّت نظريته وسيطة بين المحافظة على الموروث، وعدم الذوبان في الآخر.

(1) الشنطي، محمد صالح، في الأدب العربي القديم، ط4، (دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، 1426هـ - 2005م)، 68-69/1.

(2) انظر: الداغ، هدى بنت عبد الله، "موقف طه حسين من نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الوحي من خلال كتابه في الشعر الجاهلي"، مجلة العلوم الإسلامية، مج1، ع1، غزة، (2018م)، ص100.

ومن النماذج الأخرى التي أوردها البازعي في كتابه (استقبال الآخر): رشاد رشدي الذي انطلق في تجربته النقدية بالانبهار بالغرب، وجبرا إبراهيم جبرا الذي وجد البازعي تضاربا في نقده. وعلّق البازعي على غياب المنهج الأسطوريّ، وغياب الجانب التطبيقيّ له.

التوصيات:

- التوسع في دراسة مشروع سعد البازعيّ النقديّ.
- دراسة الجانب العروبيّ، والقوميّ في مشروع البازعيّ النقديّ.
- دراسة تجربة البازعيّ في الترجمة.
- دراسة تجربة البازعيّ في نقد النقد، مع أحد النقاد في هذا المجال دراسة موازنة.

أولاً: المصادر

- 1- القرآن الكريم
- 2- البازعي، سعد، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، ط1، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، 2004).

ثانياً: المراجع

- 1- اثينية عبد المقصود خوجة، الاثينية رقم (376).
- 2- أحمد، سامي سليمان، حفريات نقدية: دراسات في نقد النقد العربي المعاصر، ط1 (مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2006م) ص.7.
- 3- حسين، طه، في الشعر الجاهلي، ط1، (دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926م).
- 4- حسين، طه، مستقبل الثقافة في مصر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1938م).
- 5- حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة: من النبوية إلى التفكيك، ع 232، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م)،
- 6- خوري، ريف، الأدب المسؤول، ضمن كتاب "نظرية النقد"، تحرير: محمد كامل الخطيب، (منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002م).
- 7- دارة الملك عبد العزيز، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، 3 أجزاء، (دارة الملك عبد العزيز، 2014م).
- 8- زكريا، فؤاد، اسبينوزا، ط2، (دار التنوير، بيروت، 1983م).
- 9- زكريا، فؤاد، الجذور الفلسفية للبنائية، (مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2022م).
- 10- زكي، أحمد كمال، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، (دار العودة، بيروت، 1979م).

- 11- الشنطي، محمد صالح، في الأدب العربي القديم، ط4، (دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، 1426هـ - 2005م).
- 12- الشورى، مصطفى عبد الشافي، الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، (دار المعارف، القاهرة، 1986م).
- 13- صبحي، محي الدين، الرؤيا في شعر البياتي، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م).
- 14- ضيف، أحمد، مقدمة لدراسة بلاغة العرب، (مطبعة السفور، القاهرة، 1921م).
- 15- العالم، محمود أمين، عبد العظيم أنيس، في الثقافة المصرية، (دار الفكر الجديد، بيروت، ط1، 1955م).
- 16- عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4 (بيروت: دار الثقافة، 1404 - 1983).
- 17- عبد الرحمن، عفيف، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، ط1 (عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1985م).
- 18- العتيبي، محسن، الدكتور سعد البازعي (السيرة الذاتية).
- 19- العروي، عبد الله العروي، الأيديولوجية العربية المعاصرة، (دار الحقيقة، بيروت، 1970م).
- 20- عصفور، جابر، نظريات معاصرة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م) ص. 289.
- 21- عطا الله، محمد عبد الرحمن، شروح معلقة امرئ القيس دراسة تحليلية نقدية، ط1 (مكتبة الآداب، القاهرة، 2019م).
- 22- عمراني، فاروق، تطور النظرية النقدية عند محمد مندور، ط1، (الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1988م)، ص. 9.
- 23- عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، (الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، 1996م).
- 24- عياد، شكري، الرؤيا المقيدة دراسات في التفسير الحضاري للأدب، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978م).
- 25- عياد، شكري، اللغة والإبداع، (نشر أصدقاء الكتاب، القاهرة، 1988م).
- 26- عياد، شكري، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993م).
- 27- فضل، صلاح، إشكالية المنهج في النقد الحديث، (النادي الأدبي الثقافي بجدة، 1988م).
- 28- القاعود، حلمي محمد، النقد الأدبي الحديث بداياته وتطورات، (دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 1427هـ - 2006م).
- 29- القمني، سيّد، الأسطورة والتراث، ط3، (المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، 1999م).

- 30- لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، 3 أجزاء، ط2، (بيروت- باريس، منشورات عويدات، 2001م، ص. 238.
- 31- حمود، زكي نجيب، قشور ولباب، ط2، (دار الشروق، القاهرة- بيروت، 1981م).
- 32- مندور، محمد، في الميزان الجديد، (مؤسسة هنداوي، 2020م).

ثالثًا: الدوريات

- 1- ثقافة وفنون، "الدكتور سعد البازعي رئيسًا لجائزة القلم الذهبي للأدب"، الشرق الأوسط، الرياض، (6محرم 1446هـ/ 22 يوليو 2024م).
- 2- أحمد إبراهيم الشريف، "تاريخ القضايا الفكرية طه حسين وأزمة كتاب في الشعر الجاهلي"، جريدة اليوم السابع، القاهرة، (الاثنين 21 فبراير 2022م).
- 3- إسماعيل زغودة، "جاك دريدا بين الفلسفة والنقد الأدبي، من البنيوية إلى التقويمية"، مجلة أمارات، مج4، ع1، جامعة حسينية بن بوعلي، الشلف، الجزائر، (2020م).
- 4- باسيلوس بواردى، "جبرا إبراهيم جبرا بائع القلق في مجتمعات الطاعة والرقابة"، زمان الثقافية الإلكترونية، نكتب لفلسطين، (2021/1/24م).
- 5- باقر جاسم محمد، "نقد النقد أم الميمنة نقد، محاولة في تأصيل المفهوم"، مجلة عالم الفكر، ع 3، مج 37، الكويت، (2009م).
- 6- حسين دواس، "مؤثرات ارتحال النظرية النقدية الجديدة إلى الوطن العربي"، مجلة (لغة- كلام) مخبر اللغة والتواصل، جامعة غليزان، الجزائر، مج9، ع2، (2023م).
- 7- الربيعي سلامة، "المنهج الأسطوري بين النظرية والتطبيق"، مجلة الآداب، ع 14، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (2014م).
- 8- رشيد هارون، "الأسس النظرية لنقد النقد"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، ع1، مج 2، العراق، (2012م).
- 9- عبده الأسمري، "سعد البازعي سفير النقد خبير الأدب الإنجليزي"، جريدة الجزيرة السعودية، (19 نوفمبر 2018م).
- 10- محمد عبد الرحمن، "في الثقافة المصرية كتاب محمود العالم أثار غضب عميد الأدب العربي"، جريدة اليوم السابع، مصر، (الأحد 10 يناير 2021م).
- 11- نجوى الرياحي القسطنطيني، "الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره"، مجلة عالم الفكر، ع1، مج 38، الكويت، (2009م).

12- هدى بنت عبد الله الدامغ، "موقف طه حسين من نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الوحي من خلال كتابه في الشعر الجاهلي"، مجلة العلوم الإسلامية، مج1، ع1، غزة، (2018م).

رابعًا: رسائل الدكتوراة

1- عصام حسين إسماعيل أبو شندي، "نزعة التأصيل في الفكر النقدي عند الدكتور شكري عياد"، (رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، الجمهورية العربية السورية، 2010م).

خامسًا: روابط الإنترنت

1- <https://www.almaany.com/ar/dict/ar->

[?/ar/%D9%86%D9%82%D8%AF](https://www.almaany.com/ar/dict/ar-%D9%86%D9%82%D8%AF/)، 2024 / 12 / 10 م.

جميح، محمد، "الحق الإلهي وجذور التقديس"، جريدة الوطن السعودية، مؤسسة عسير للصحافة والنشر، السعودية، (الأربعاء 28 يوليو 2021 - 18 ذو الحجة 1442هـ).

<https://www.alwatan.com.sa/article/1082740>، 2024/12/10 م.